السجن داخل الكلمات

شعر

محي الدين خريف



دار المعارف للطباعة والنشر

السجن داخل الكلمات

محي الدين خريف

منشورات دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة/تونس

العدد المسند من طرف الناشر 90/326
تم ايداعه بالمكتبة الوطنية في شهر ماي 1990
* * *
تدمك : 7 ـ 037 ـ 16 ـ 9973 ـ ISBN

أَبْعَدُ مِنَ التُّخُومِ

(السجن داخل الكلمات) هو ما اصر ان انعته بالانشاد الثالث من اناشيد الشاعر محي الدين خريف . فتسمية ديوان لا يجب ان تلصق بهذه التراتيل الحزينة آناً ، والمتجهمة تارة ؛ والسارحة في ارض بساطها العشب وروائح التراب المعفر بالطين والتبن . والدائرة في مراتها العديدة دورات الاجساد المختضة في حلقات الذكر والاشراق .

اجدر بهذه المجموعات الشعرية الثلاث التي اصدرها الشاعر تِباعا منذ سنة 1968 ان تسمى بالاناشيد ، فهي التسمية التي تليق بهذا الشعر لما له على النفوس من البسط . ولما لكل مجموعة من هذه المجموعات من الانسجام والوحدة في الرؤى والامتداد والانبهار .

فكلمات الشاعر للغرباء التي نشرت سنة 1968 تشيع فيها روح الاغتراب حقا من خلال ماعانى الشاعر في علاقته بالكون والارض والاصدقاء ، ولكل الاشياء الاخرى ، كبرت شأنا ام صغرت اهمية . تصطبغ جميع قصائد هذا الديوان بلون من الحزن الفاجع . لكنه حزن افقي لاصراحة فيه ولا حدة ولا انقباض ، حزن الوحشة والانكفاء الى النفس المتوحدة .

تُوحِشُنِي الدُّمُوعُ يا أَحِبتِي
فِي أعينِ البَاكِين
لأنَنِي سَكرْتُ بالدمُوعِ مِنْ زَمَانْ
وعشت بِالْبُكاءِ والحَنين
وَكُنتِ فِي ضَمائِرِ الأحْزَانْ
مُكتمُ الأنِينْ

(ص 128 - كلمات للغرباء)

واننا لنفتقد براءة وعفوية هذا الحزن ، عندما نطالع مجموعته الثانية (حامل المصابيح) التي اهلت الشاعر لان يتجاوز هذا اللون من الحزن الغنائي الى ملكوت من صنع وهمه . بناه كما تبني الممالك قلعة . . قلعة . . ملكوت من الاحزان الكأداء التي سببها ضياع الحقيقة منه .

في (حامل المصابيح) يتحول الشاعر الى «ديوجين» معاصر يجد في رابعة النهار قابضا على النور في وهج النور باحثا عن الحقيقة المتوارية في غير شوارع «اثينا» .

في زمان الخيبات يفزع الفلاسفة والشعراء الى احلامهم يستفتون عن الحقيقة . ومثَلُ «ديوجين» له اشباه في كل العصور . وشوارع اثينا لها نظائر بكل البلدان . فالحقيقة لها منفى واحد . كما يقال - هو صدور الشعراء ، ينوؤن بها رزءا فادحا كما تحمّل الانسان صابرا الامانات المختلفة :

مَازالَ يُظلِمنيَ وُيوقِدُ نَارَ حُزْني
وَأنا اقولُ لَه حَبيبِي
حَتَى توهّج مِثْل لَحْني
وَأضاءَ في الليلِ الرَحيبِ
وَوَراءَ قافِلةٍ مَشْت تَتَلَمَسْ الأبْعَادَ سِرْنَا
حبّي وَحُبَكَ توأمانِ تَوافَقا لَفْظاً وَمَعْنَى

(ص 16 - حامل المصابيح)

مرد هذا الحزن هو ان الشاعر يمنى بفقدان ما كان يجده في قريته التي استوطنها جلَّ سنوات الشباب والصبا من التالف والوشيجة . ويمنى بضياع اصدقائه منه . ويخيب لان انتقاله من القرية الى المدينة لم يسبب له غير الاسى والحسرات فعكف عندئذ على تشييد ملكوت خاص به بعد ان نشد الحقيقة فلم يظفر بها ، وبحث عن الاسْباب فلم تتوفر له :

سَوْفَ لنْ يرْجعَ منْ «مَدْيَن» بعدَ اليومْ
فلتحزني فَالحزنُ هُوَ بَيْتُنَا
وَضوءنا وَزَيتُنَا
وخُبزُنا المشبعُ بَعْدَ الصَومْ

لأنَ ما نَحمِلُ مِن مَتاعْ
أرخصُ من أن يُشْتَرى يَوْما وَأن يُبَاعْ
(ص 54 - حامل المصابيح).

ولم يجد الشاعر حلا لمشكلته غير ان يسجن نفسه (داخل الكلمات) . فالسجن داخل الكلمات هو السجن داخل الحقيقة ، وهو المنفى الفاضل ، وهو المهرب من الوان الحزن البغيض . فداخل هذا السجن يتحول الشاعر الى متصوف يرى الدنيا من خلال الاشراقات والاسفار ، والتراث ، مستلهما سير الاولين من العشاق وسُجَناء الكلمات :

وَأنتَ كَأحزانِ «عُروة» حِينَ نَأتْ عنه «عَفْراءُ»
وَاشْتَعَلَ الوَجْدُ في قَلبه أغْنِياتْ
وَعلّق فوقَ الفؤادِ قَطاةْ
(أحزانُ عروةَ - السجن.....)

ولكن هذا السجن ليست له مواصفات السجون الاخرى . شاد الشاعر معماره على نحو بديع ليطل من خلال بوابات اربع اقامها فيه على التخوم الرحيبة التي تمثل كتاب الشاعر للانماط الفكرية . ونحن اذا لم نطل من خلال هذه البوابات ونحدد معالم هذا الكون الشاعري فانما نظل نضرب على غير صواب .

- 1 -

افاق الشاعر منذ تنبه حسه عند رحاب الصحراء ، وعلى ابواب جميع الاراضي التي لاتعرف لها نهاية : بوابة تطوح بالذاهل نحو اعمق واضل صحراء افريقية : الصحراء الكبرى :

رَحَلَ الأصْحابُ وَضاقَ بِسامِرِهِ ألحَانُ
وَطريقك في الصَحْراءِ تمزّقُهُ الأرْيَاحْ
لا الزادُ لَديْكَ
وَلاَ في خُرْجِكَ زيْت يزْهُو بِه المِصْباحْ
(35 - حامل المصابيح)

لقد رحلوا جميعا وتركوه فارساً مضاعا يروض الرمال والزوابع :

وَلكنْ أيُّ شَخْص يَسْتَطيعُ بأن يَشُدَّ
فَمَ الصَحارَى حتى لا تُولَدْ
دَما أحْمَرْ
وَغُصْنَا مُورقا وَسفينةً تُبْحِرْ
وَلَحْنا ساجِيا اخضَرْ

(107 - حامل المصابيح)

ولكنه على امل ان يوقد في هذه الصحراء فتيل مصباحها الخامد . فكل التساؤلات تبدو مشحونة بالحوافز وبالامل . . وبالنصب :

لوْلاَ قَطْرَةُ زيت في مصباحِ اللّيْلِ النَّائِمِ في
الصحراءْ
لَولا الأملُ المَطْوِي بِأجْنَحَةِ النِسْيَانْ
لَدفُنا بِقْبرِ الصمْتِ وَمتنا مِن أزْمانْ
(49 - حامل ...)

ان الصحراء في نظر الشاعر هي البعد الاول من ابعاد حياته ذات المسافات اللا محدودة . هي المشهد الاول من مشاهد التخوم التي يحاول ان يبسط عليها سطوته ويروضها كما يروض فرسان الصحراء المهارى .. هي البوابة الاولى من البوابات التي تفضي الى التخوم

ـ 2 ـ

البوابة الاخرى تزج بالطامعين في عالم السراب حيث لا نجاة ولا مهرب من شط الاملاح الغائصة في بركة من المياه البيضاء الشديدة الانتصاع حتى لتكاد تتخطف البصر وهي تغري بالتيه :

ضَحْرائِي يَغْمرُها مِلْحُ الصّيف وَالقَيْظ شَدْيدْ
لَمْ يرْزَمْ رَعْدُ كنا نَرْقبُهُ
فَوقِ الحقل المُتَعَطِش لِلمَاءِ
طَالَتْ أحزانُ الخَنَساءِ

(مع ابراهيم بن ادهم)

واذا كانت الطبيعة بقسوتها الفريدة هي التي صنعت للناس في قريته وفي محيطة هذا العالم الخادع ، وعوض ان تهبهم شواطىء من الزرقة وامواجا ولججا وبحرا مزدخرا بالعواصف والاشعة والربابنة فقد ابدلتهم بذلك املاحا مكدسة ، مزيدا من الاملاح التي تعكس الشمس بريقها في الصيف فتحيلها الى اكوام من الزجاج الحارق ، ويخرج من ثناياها الشتاء ملبدا بالرطوبة والغيوم الكامدة .

فان الشاعر يأبى الا ان يبدد وحشة هذه القسوة ، ويتجاوز هذا الذعر ، وهذا العذاب المفرط الذي تراكم في نفوس اهليه عبر القرون ، وينطلق في نشوة المغني بحنجرة معباة بضروب التوتر الطلق :

مِثْل لَيالي البَرْدِ في الصَحْراءْ
مِثْل سَراب الشطِ في القِفارْ
كُنا وَكانَ الشِعْرُ في حُلوقِنا غِناءْ

(ص 40 حامل المصابيح)

وما يفتأ في كل قصائده يوالي سعيه الحثيث الى اخصاب الملح ، وبلورة السراب . معجزتان محيرتان يشق على المرء تصور تحقيقهما ... لكنهما عند الشاعر ينبثقان من ذلك الحسّ المشرق الذي يرفض الانصياع لما حتمته الظروف والاوضاع :

يَطْلَعُ من خَلْفِ السَّرابِ يَحْمِلُ الوَصايَا
يُشعِلُ مِصْباحَ عَلاءِ الدينْ

مِن بَعْد ما طَوَفَ في المدائِنِ الكثيرَةِ الخَطَايا
وَتَاهَ في أروقَةِ السِجُونْ
جَاءَ كأن الأرض كَانَتْ قَبْلَهُ جَزِيرهْ
مَنزلةً صغيرةً صغيرةْ
«القائد» : (السجن داخل الكلمات)

والتحمل الجميل ، وتقبل الوقر بصدر اوسع من صدر الرياح تلمسها عندما يذكر الشاعر ان طاقة تحمله هي اصلب من ثقل الملح واشد وطأة مادام هناك فجر يبوح باسراره في قريته ، ومادام له في الناس صاحب وخليل . ان البديل والثمن والجزاء ليطلبها الشاعر في حب الجميع وفي القلوب التي لم تخفق بكراهية :

كُنتُ وَمَازِلْتُ بَعْيداً عَنْكْ
أبي رَمَاني في ظَلام الجُرحْ
حَملتُ من شَطِ الجَريدِ المِلحْ
وَلَمْ أقل إني ،
لاِنّ الفَجْر في بلادنا جِميلْ
لاِنّ في النّاس أخِيَ وَصَاحِبي
وَالجارَ والخَليلْ
(مذكرات ابي يعقوب) السجن ...

بالنسبة للاخرين فقط تبدو هذه البوابة الثانية اكثر اضاءة واشتباها .. فهي سراب خادع .. وارض من الملح تقتل

الزرع والنسل والغراس مطبات ارضية كلما زلت اليها قدم اتت غير راحمة على كل الجسد .

على ان الشاعر هو الوحيد الذي كان قادرا على ارتياض مدن الملح ، وعلى تدجينها فهي واحدة من البوابات الاربع التي فتح عليها عين الصبا والشباب .

- 3 -

البوابة الثالثة تتفتح منذ الازل على الافاق المخضلة عند الواحة التي تستكن الى الليل في دعة لفرط وجيب وايلاف لكنها تستفيق مع ولادة كل يوم من خلال سعفها الذي لايدركها البلى مخضبا على مدار الفصول .

انها البوابة اللجّة .. انها البحر الذي لم يقدر اي انسان على احراز البطولة فيه . اولائكم الذين منحوا شبرا من الارض بجانب النخل ، واصطفاهم الله ليجاوروا الباسقات هم وحدهم ادرى ، بما تكون عليه العشرة الطيبة وهم ادرى بمصادر الالهام . واذا شاء احدهم ان يقول الحكمة في يوم من الايام فانما عليه ان يقول : إن النخلة التي لا تملك ان تقول الشعر فليس عليها الا ان تبتلع قلبها الغض .

ولعل الاساطير التي كانت تنسب للنخل حياة انسانية كاملة قبل ان يتحول الى جذوع وجرائد والياف لم تكن تروى الا جزءا يسيرا من الحقيقة العظمى .

فلابدع بعدئذ ان يتكلم النخل باصوات اجواره ، ويلهمهم شدوهم .. ويكون اللسان واللهاة ويمنح الحس :

واحَة الاخْضرارْ
يانشيدَ الأَناشيدِ يَامزْهَرِي
بِدْعةُ اللهِ أنتَ وبوحُ النَهارْ
وَسَنا الألِق المُبْهِرِ
هَا أنَا جِئتُ اطلُب فيكِ القَرارْ
بعد ما قُتِلَ الحُب في خَاطِرى

(ص 21 - كلمات للغرباء)

فهذه الواحة عند الشاعرِ مراحُ خصيب ، مربع لهو .. وادكارات ، بوابة على خلاف البوابات الاخرى هي البوابة التي تحمل الشاعر في ضميرها دون ان تكلفه ما يتكلف من عناء الصحراء .. وقيظ شواطيء الملح . هي الملاذ الرخيُ في ساعات الكدر . يطوف في ارجائها خفيفا فردا كما يطوف العصفور الاليف الذي يعيش بين اهالي الجريد يقاسمهم بيوت نومهم وقباب مساجدهم ، ويشرب مما يشربون ويأكل مما يأكلون :

فطُفْ بِالنّخْل طُف بالنّبعَ ياعُصْفُورْ
وبلّ غليلك الصادِيَ
وَغنّ للسُقوفِ وَللقباب البيض أغنَيةْ
وَحمِلَها حنينَ الرَمْلِ وَالوَادِي

(ص 17 حامل المصابيح)

النخل في قاموس الشاعر ليس ذلك الشجر فحسب . ان النخل عنده طعام القرية اذا جاعت وسَامرها اذا اشتاقت الى الغناء .. وهو ايضا جلبابها إذا تعرّت وافتقرت الى الجلباب :

الصَمتُ في لَيْلِ القُرى خِطابْ
والنَخْلُ في عُرْيِ القُرَى جِلبَابْ
أفضى الى سُمارِهِ بسَرِهِ
متّى وما روى الوَرَى بقطرةٍ مِن خَمْرِهِ
ايام كان الحزن كالواحات
سَحَائبا . سحَائِبَا
تقطرُ بالاهاتِ والدموعْ
سَواكِبَا سَوَاكِبَا

(ص 38 حامل المصابيح)

اما البوابة الرابعة فهي اعظم البوابات جميعا : سماء صحو لا تعرف الغيوم تنعكس زرقتها على الاهلين والوديان الدافقة في قلب الواحة ، وعلى قباب الاولياء وعلى جدران اللبن ، واسطر الحروف في الكتب القديمة . فتساهم بصحوها في رفع امارات الاحساس بالغلبة ، وتعطي سكان القرية من نور قمرها نورا وفرصة للسهر والتنادم وعقد حلقات الاسمار في ساحة القرية :

وَعَلى ضَوْءِ هلاَلٍ نُورُه في سَاحَةِ القَرْيَةِ
لايفترِ مِنْ طُولِ السَّهَرْ
دَارَتِ الحَلَقَةُ وَانْسَابَ عُمَرْ

رَاوِيا كُل عَجِيبٍ مِنْ حِكَايَاتِ المَدِينَةْ
آخذاً كُل قلوُبِ النَّاسِ مِنَ غفْوتِهِمْ
رَافِعًا عَنْ أُفِقِهْم كُلُ سَكِينَهْ

(ص 48 - حامل المصابيح)

والقمر عند اهل قرية الشاعر هو رمز للعشق والوله ، وفرحة للتناجي . بنوره يكشف عن كل خبيء ويبدد سحب الدياجي التي تسيطر على نفوس اهالي القرية بالحزن والخيبة . ان فرحتهم بالليالي المقمرة لا تعادلها فرحة :

كُؤُوسنا شعشعها الضَّوءُ فَعَادَتْ مُتْرَعَهْ
وَحُلمَنا تَهْوِيمةُ النَّخْل وَبوحُ المزْرعَهْ
عَلَىَ دُرُوبِ النَورِ تلقَانَا اللَيالِي المُبْدِعَهْ
ففتنة نائِمَةٌ وَفِتنةٌ مُضْطجِعَهْ
اذا عشِقْتَ وارتمى النُورُ عَلَى صَدْرٍ عَطِرْ
فاهْبِطْ علَى شُباكِنَا وَأنزِلْ علَيْنا يَا قَمَرْ

(ص 10 كلمات للغرباء)

وبدون أن نضع اصبعا على خارطة بلدة (نفطة) نحو الجنوب الغربي من الجمهورية التونسية حيث ولد الشاعر ونقع على مواصفاتها الجغرافية .. ونقف عند صحرائها .. وواحاتها وسمائها .. وشط املاحها . فاننا سوف نظل مرتبكين لا نهتدي

لاي باب من ابواب عالمه .

سوف نظل اقصر خطى من ان نرحل في هذه القصائد الجذلى الموقعه بطابع شاعرها الذي وضعته اقداره عند بوابات التخوم الاربع (سجينا داخل الكلمات) :

سَيبقَى زَمَاني بدُون أنتهاءْ
سَتبْقَى سُطورِي
اشْتِهَاءَ الصَحَارَى لِقطِرة ماءْ
سَتَبْقَى وَمَيض البُروقِ ودَمْعَ الشَتَاءْ
وَ إنْ جاءَ مَنَ يَحْمِلُ النَجمِ في عَيْنِهِ الآسيهْ
وَيحْضُنُ أحْلاَمَهُ وَيغْنِي
وَيَخْلُقُ في كلٍّ جزءٍ مِنَ الثانيةِ
سَأعلَمُ أنَّ المحُبينَ إنْ سَلمُوا وَدَّعُوا
وَإنْ وَهَبُوا الحُبَّ
لاَبَدَّ أنهُمْ سَيَرُدُون مَاضيعُوا

محمد صالح الجابري 975/6/17

أحْزانُ عُروْةَ بن حِزامْ

جديدٌ هواكَ
وقد تحجب الشمسُ ضوءَ القَمرْ
وتبق النجومُ حيارىَ
ويعزف نايُ الدراويشِ وقتَ السَحَرْ
وَتمْضِي السنُونُ عذارىَ
وأنتَ كَأحْزان عُروةَ حينَ نأتْ
عنهُ عَفْراءُ
واشْتَعَلَ الوَجْدُ في قَلْبه أُغنياتْ
وعلقَ فوقَ الفُؤادِ قَطَاهْ
قريبٌ بعيدْ
قديمٌ جديدْ
كثيرٌ وحيدْ
رَأيْتُكَ في حَلْقةِ العاشِقِينْ
صَحِبْتُ ثَلاَثين مِنْهُمْ
وَصلتُ لأعماقهمْ بعدَ مَرِ السِنينْ
رَوَيْتُ الأَحاديث عَنْهُمْ
ولوْلاكَ ماأخضَرَ غُصْنُ

وَلا قَتَّبتْ في الصَّباح البَرَاعِمْ
وَلاَ غمَر الضَوءُ هذي القِبَابْ
وَلاَ خَطرتْ فِي البكورِ النَسَائِمْ
أُحبكَ فيك..!
وأَحمِلُ مِنْ أجلكَ الصَخْرَ
يَعْصِفُ بِي القَيدُ أشْرَبُ كأسَ هَواكَ
لِحَدِّ الثَّمالَةْ
لأنكَ عِندي رِسَالهْ، وأيُّ رِسَالَهْ
وَمَهْمَا تَكاثَر حُراسُ هَذي القِلاَعْ
وأرْزَمَ رَعْدُ
وَطَالَ بلَيْلِ الأسِيرِ الصِراعْ
وأُخْلِفَ وعْدُ
فلا بُدَ أن يأتِيَ الزَّمَنُ الوَاعِدُ
زَمانُ البدايه
وألقَاكَ والكل في كَونِنَا وَاحدُ
سَبِيلُ وَغَايَهْ
وثمَ تَربُّ الزَنَابِقُ في الصَّخْرِ
يُعْشِبُ حَقْلُ الجِياعْ
يَلُوحُ عَلَى الأفق قوسْ البَشَائِرْ
وَيَبْطُلُ فِيكَ النِزَاعْ
وَيَرْجِعُ للبْيتِ كُلُ مُهَاجِرْ.

1972/7/14

نِـدَاءٌ منْ بعيـدْ

رَعَشَاتُ الخَرِيفِ بِقَلْبي
والنِدَاءاتُ والهَاتِفُونَ بِليْلِ الرَّحِيلْ
والخَوَاءُ بِدَرْبِي
جَعَلَ الحُبَّ في عَالَمِي مُسْتَحِيلْ
مَاعَرَفْتُ التَّواشِيحَ في اللَّيْلِ
مَاذُقْتُ طَعْمَ السَّهَرْ
مَاشَربْتُ مِنَ الكأسِ يَوْماً
جُرْعَةً تجعلُ الحبَ في خَافِقِي يَسْتَمِرْ
فَلِمَ يَسْتَبِينِي الحَبِيبْ.؟
وَيُعَذِبُنِي بالجفاءِ الأَمَرْ
يَاشَبَابِيكَهُ العسجديه
حملتني اليك التباريح عنده العشية

فأتَيْتُ وَقَدْ هَرِمَتْ في فَمِي الابْتِسامهْ
وَغَدوتُ إليْكِ أرِيدُ السّلامَهْ
فَتَلَقيْتَنِي
مِثلَما يَتَلقى الحَبِيبُ حَبِيبَهْ
وَوَجَدْتُ هُنَا رَاحَتِي
في الدِيَارِ الرَّحِيبَةْ
وَشَكَوْتُ اِليْكِ بِحُزْنِي
كَيْفَ اصْبَحْتُ في النَّاسِ وَحْدِي غَرِيب
كَيْفَ ضَيعْتُ وَجْهي وَلَوْنِي
سَكِرتْ مُهْجَتي مِنكِ
صِرْتُ أرى انني فِيكِ خَمْرٌ وقارُورَةٌ وَنَشاوَى
وَأخُو العِشقِ مِنْ حُبِهِ يَتَهاوَى
لاتَلُمنِي وأنْتَ حَبِيبِي
غَابَتِي رَقَصتْ في الشُعَاعِ السَكِيبِ
وَعَصَافِيرُ دوحي تَغَنَّتْ بِلحنٍ عَجِيبِ
وَهُمُو نائِمونَ وَلا يَعْلَمُونْ
أنَا وحدي بِحُبّك أعْرِفُ
والنَّاسُ لا يُبْصِرُونْ
قلْ لِمَنْ جاءَ يعذِلُني فِيكَ
إنّ الهَوَى نامَ فِي مُقْلَتيهِ وأغفَى
ظاهِرٌ وهو مِنْ عالمِ الغَيْبِ أخفَى.

1972/8/18

قِراءةٌ

سَاهِرٌ والنُّجُومُ النَضيده
عَلّقتني بعينيك ياقمري
في السَّماءِ البَعِيدَةْ
فَبَقيتُ كطيرِ السُّهولْ
فَاتَهُ الصيفُ
فانثالَ يجمعُ ما بَدَدَتْهُ الرِيَاحْ
وَكَثيرٌ بَكفِ الفقيرِ القَليلْ
مَا عَلى هَذهِ الأرْضِ
لوْ اطَّلعَتْ زَهْرةٌ في سَوادِ الليَالي..؟
مَا عَلَى هَذهِ الغَيمةِ الشَارِدَهْ..؟
لوْ بَكتْ فِي حُقُولي قَليلاً
وأنْبَتَتِ العُشبَ فوقَ جِبَالي
لَهَفَ نَفْسي وأنتِ بِخَاطِرِتي
زَهرةٌ ومرايَا

وَهَدِيَةِ عيدْ
وَهَوَى ساكِنُ في الْحَنَايَا
وانْبِعاثُ جَديدْ
أتعَودينَ لِي
بَعْدَما ضَمني الصَّمْتُ، أتْعَبني اللَّيلُ
نَامَ بَقلبِي السَهَرْ
هَرمتْ في فَمي الأغْنيَاتْ
وَشِراعي ترامَتْ به الريحُ في عَالَمْ الذِكْرَيَاتْ
كُنْتَ يَوْماً
وَكَانَ لَنَا الْحَقْلُ واللوزةُ المزْهِرةْ
وَمَضيت فَما عَادَ ثم حَديثْ
ولا ضَفَةٌ للقاءْ
أُبحرتْ ليلتي المَقْمِرةْ
غَارَ نَبْعُ الصَّفَاءْ
واسْتحالَ كلاَمي مَعَ القُبرَّاتْ
والنَّوافِذ والنجمةِ السَّاهِرَهْ
وِحْدَةً وَصلاَةْ
لا تلُومي الْهَوَى اِنْ قَرأْتِ الرِسْالَةْ
أنَا انسانُ عَيْنِ المحُبينَ
بَرَّحَ بِي الوْجدُ
طافَ بي الكون شَرْقيهُ وَشَماله

1972/8/5

وَبِالجراحِ نُغَنِّي

تُنَاشدُنِي أنْ أُضمِدْ جُرْحي
وذَاكَ بَعيدْ
رَبيعُ الْهَوَى أنْ تموت حُبَابَةُ
والْجُرْحُ يَحْفِرُ قَلْبَ الْوَليدْ
عَلامَ أُداوي جِراحِي وَأنْسَى؟
وَقلْبُكِ مِنْ جَلمدِ الصَّخرِ أقْسَى
وَأنْتِ تَودينَ
لَوْ يملأ الْحزْن كأسِي
وَأبْقى غَريقْ
وَنوَّارُ حقْلكَ يحمِلهُ البائِعُونَ
لِغْيرِ الْحَبيبِ وَغَيرِ الصَّدِيق
«كَتاركةٍ بْيضهَا بالعَراءِ
وكَاسِيةٍ بَيْضَ اخْرى جَناحَا»
وَهُمْ لمْ يُحبوكِ
لمْ يطْلعُوا في رُبَاك صَبَاحَا
فَكيفَ تُولّينَ عنْي
ووجْهكِ قيثارةُ الليل
طَافَ بهَا في الظّلَامِ المُغَنَي

وَنَافِذة الصَيفِ تغمرها الذِكرياتْ
تُنادِي المحبينَ تَفْتَحُ أحْضانَها لِلْحَياةْ
فَمَنْ كَانَ مِثلك
لاَ بُدَّ أنْ يجلبَ النَاس
تَعْشو لَهُ في الدَّيَاجي الْعيُونْ
وَمَنْ كانَ مِثْلي
حَرى به أنْ يَظَلّ وَرَاءَ الجدارِ سَجِينْ
«ولا أنا مَحْبوس لوعْد فأرْتَجي
ولاَ أنا مُرْدُودُ بَيأسٍ فَأرْحَلُ»
وَمنْ خَلْفِ قُضبانِ سِجْني
رَأيتُكِ دُنْيا اخْضِرَارْ
وَمَركَبةٌ تَتَهادَى وأكليل غَارْ
وَقَدْ برحَ الوَجْدُ بِي
كُنْتُ مِنْ حُرقي فِي ضَبابْ
أُدافعُ حُبي فَيدْفَعني
فِي جَحيم الْعذَابْ
وَقَدْ تَعْجبينَ وَيَحْلوُ الْحدِيثْ
إِذَا ما ذَكَرتُ عَذابي
لك اللّهُ كَيفَ تَلذُّ حَيَاتي وَيَحْلوُ شَرابي
اذا أنَا لَمْ اعْتَصرْ من شَقائي رحيقًا
يُنَورُ لي في الظَّلامِ الطرِيقَا

1972/8/16

حديثٌ عن الهوَى الأخْضرِ

وَحْدي أعيشْ
أنا لي جَنَاحٌ..
غَيْرَ انكَ يا جَنَاحُ بِدُونِ ريشْ
وَلوْ اسَتطعْتَ بأنْ تكُونْ
لَبَلغْتَ أقْصى الشَّرْقِ
حَيْثُ تَرى بَسَاتِينَ الأميره
تمْتد فَاتِنةً نضيرةً
وَجْدي بهاوَجْدُ الْمهاجرِ بالديَارْ
وَجْدُ المقيدِ
خَلفَ نافِذةِ النَّهارْ
عِشرونَ عاماً والْهوَى
يَبْني ويهدم ما بَنيْنَا
عِشْرونَ عاماً قدْ مضتْ
تَبْكي بأدْمعِها عَليْنا
جَلستْ تُسرِحْ شَعْرهَا
والنَّهرُ يغْسِل مِنْ ذَوائبِهَا
وَيَبْسُط راحَتَيْهِ لِيَحتَويهَا
خَضراءُ نامَ الْشوقُ في أحدَاقها
وغَفا الظَّلامُ بمقْلَتيهَا

نِداءٌ مِنْ وَراءِ الحجُرَاتْ

أنَا ماغِبْتُ يْوماً
وَلَوْ غِبْتِ أنْتِ
لَخَبا الضوءُ في عَالَمِي
وَالتَحفْتُ بِصَمْتي
وَبَقيتُ هُنَا اطفِئُ الجَمرَ بالاْنتِظَارْ
وَيمُر نَهارٌ وَيأتي نَهَارْ
وأنَا مِثلُ مَنْ فاتَهُ الرَكْبُ
ثُم مَضَى يسْألُ النَّاس
هَل مِنْ بشِيرْ؟
- تمهّل فَأنَ غدًا سَوْف يأتي
وَلاَ بُدَّ للصَائِمينَ بأنْ يفْطِرُوا
وَلاَ بُدْ أنْ يَعبُرَ الليلَ سَارٍ
وَتمحُو يَداهُ الذي سَطرو!
وَيَكونُ لِليلكَ آخِرْ
ضُمنِي ياتُرَى وَطَنِي
حِينَ ترْسُو البَواخِرْ
فَأنَا أكْرهُ البَحرَ أكْرهُهُ

مِثْلمَا يكْرهُ النَّاسُ في بَلدِي
لَسعَاتِ الْجَلِيدْ
مِثلما يَفزعُونَ لِخَيْلِ الغُزاةِ
وَزَحْفِ السّدُودْ
فَلتَعُدْ بي اليْهَا
فمَعَذِبَتي تعْرفُ الجُرحَ ناغِرْ
وَهْيَ تعْرِفُ أنِي المقيمَ وانّي المْسَافِرْ
وَالذِي لَمْ يُغيرْهُ زَحْف الغَمَامْ
إنْ مضى العُمرُ يَدْفَعُ عاماً وَعامْ
فَهْيَ نَارُ القِرىَ
وَهْيَ ضَوءُ الشَوارِعِ في هَدْأةِ الليْلِ
حينَ يمرُّ المُعَذّبُ رَاخِي العِنانْ
وَهْي «قُطْرُ بل» والكؤوس وبِنتُ الدِنَانْ
والذي لاَ أُسمّي
صَغُرَ الحَرْفُ أنْ يرْسُمَ اليَوْمَ
مَا جالَ في خَاطِري
أوْ يُصورَ هَمّي
مُرّ إنْ شِئتَ
أوْ فاجْلِسِ الآنَ مِثْلى
وارْقُبْ الشَمْسَ
فالشَمسُ لابُدَ أنْ تغْمُرَ اليومَ حَقْلِي

1972/12/8

مَنَاخُ الأسْواقِ القَدِيمَةِ

هَرِمَتْ في فِمِنا الكَلِمَاتْ
شِبْنَا قَبْلَ اوان الشيْب
ورَأينَا الأعْمَى يَفْتَحُ عينيه
وَاللص يَدينُ المَظْلُومينْ
والشّاعِرَ يأكُلُ مِنْ أوقاتْ المحْرُومينْ
وبلادي نائمَةٌ تبْكي
بِعُيونِ الأطْفَالِ الفُقَرَاءِ
تَرْزَحُ في ظل الأسْرِ
مَوْلايَ عَظِيمٌ

يَشربُ مِنْ دَمِ آلافِ المَوْتى الأَحْياءْ
يَتواجَدُ بالأوراِدِ وَيحمِلُ مِسْبَحَةً
كَيْ يُحصِي مَنْ شرَّدْ أوْ قتَّلْ
لهفي والريحُ تُبددُ أوراقَ الشَّجرِ المُثقلْ.
عُودي مَاجدً جَدِيدْ
لَونُ الحُزْنِ كأعمَقِ مَاعَرفَ الانسانُ الحُزْنْ
وَالعُمْرُ تَنَاهَي وَلَمْ يُفْتَحْ بَابٌ للِسِجْنْ
عُودي للبَيْتِ المجْهوُلِ الأبوَابْ
وَتَلَمَّسي نَافِذَةً تُفْضي للبَحْرْ
فَحَرامٌ أنْ تمْضِي الأيَامُ
وَلاَ يَلْقاكَ رفيقُ العُمرْ
أنَا كَمْ اشْتَاقُ اليْكِ
وَلَكنَّ الأرْكَانَ خَلَتْ مِنْ كل صَبَاحْ
قتلُوا في الظُلْمةِ أضْوَاءَ المِصْباحْ
فتَلُوا الفُولاَذَ أساورَ للأيْدِي البَضَّةْ
عَزَموكِ عَلَى مائِدَةِ الجُوعِ
طَالَتْ سَاعَاتُ الحُزن بِلَيْلِ المَوْجُوعِ
جَهْلِي غطَىَ عَنِّي
لَمْ أعرِف مِنْ قَومْي أحَدَا غَيْرَ الحَجَّاجْ
لَوحْي بِيدِي لَمْ أكتُبْ فيه كَلاَمْ
طوَّفتُ وعُدْتُ ومَا زالَ الحَلاَجُ هُوَ الحَلاَجْ

1973/3/2

المَسافرونَ يُعِدُّونَ الحقَائِبْ

لاَضيرَ إنْ تَأخرَ القِطارْ
فَموْكِبُ الظَلاَمِ لَمْ يَزَلْ
يَنْتَظِرُ النَّهارْ
آلافٌ مِنْ أهْلي وَمِنْ مَدِينَتي
هُنَا عَلى الأبوَابْ
دَعْني فَفِي حَدَائِقِي الوَرُودُ قَدْ ذَوتْ
وَلَمْ أجِدْ ماأحْمِلُ
غيرَ أغَانِي السُّهْد والعَذَابْ
مَشَيْتُ كَمْ مَشَيْتْ.
دَخَلْتُ مِنْ بَوَابَةِ العَوَالِمْ
رَأيْتُ كَيْفَ أوْلموا

بَعْدَ حَرِيقِ قَرْيَتِي الوَلاَئِمْ
سَمِعْتُ مَنْ يَقُولْ:
إنَّ الشِتَاءَ عَادْ
والنَاسُ سَوْفَ تأكُلُ الحُقُولْ
وَسَاعةُ الجِدارْ
مَا فَتِئَتْ تَفْتَاتُ بِالكِبارِ والصِغَارْ
رُحْمَاكَ إنْ هَتَفْتَ بِي اسْتَعِدَّا
فَفِي جَوَانِحِي يَعِيشُ طَائِرٌ فَرِيدْ
يَفْزَعُ إن رِيعَ وَلَيْسَ يهْدَا
لاَتَغْضَبي يَاأُمُّ إنْ رَجَعْتُ
لاَبْدِلَ الثِيَابْ
فَغَيْرُنَا قَدْ سَرَقَ النَوَمَ مِنَ الأهْدَابْ
والْتَحَفَ الشَمْسَ...
طَوِيلٌ يَاطَرِيقَ الشَمْسْ!
نَحْنُ الآذانُ المُرْهَفَةْ
وَغَيْرُنَا الوُعُودْ
نَحْنُ الصَحارَى اللاَهِفَةْ
وَغَيْرُنَا السُدُودْ
وَعِنْدَهَا رَجَعْتُ
اجْمَعُ مِنْ مَحَطَّةِ القِطَارْ
حَقَائِبِي وَكل ما جَمَعْتُ

1973/3/24

الطريقُ إلى قَلعَةِ بَنِي حَمَّادْ

رُسُلُ الأمراءِ أتَوا يَستَحِثون خَيْلَهُم
فِي الهِضابِ العَتيه
والطَريقُ طَويلٌ وَحمرُ الحُلىَ والمَطَايا
قابعاتٌ بأركانهن القَصِيه
صَفقي ياجبالُ وميدي إذا شِئتِ
فَالبَحْرُ مازَالَ مِني بَعِيدْ
والمُنى العَرَبْيَةْ
جَعَلَتْني أشم الحِجَارَ أرود التَواريخَ أحْلُم فِي
المُدنِ الصاحِيهْ
أنني صِرْتُ يَوْماً أميرْ
«يَأتَلِقُ التَّاجُ فَوقَ مفرقهِ

عَلى جَبينٍ كَأنهُ الذَّهَبُ»
لَسْتُ أملِكُ حتَّى بِأنْ أَغضبَا
لَسْتُ أملِكُ حتَّى بأنْ أحمِلَ اسيْفَ أوْ أضْرِبَا
وَجَوارِيَ يموتُ المَلايِينَ يَخْتَنِقُ الشُعَراءْ
يَحْبِسُونَ أناشِيدَهُمْ فِي الصّدُورْ
وَيَرَوْنَ القُبّورَ تُنَاجِي القبُورَ
ضُمَّنِيَ يَاطَرِيقَ الصَّحارَى إلَى قَلْعَةِ النَّازِحِينَ الغُزَاةْ
فِي المَكَانِ الذي اضْطَرَمَتْ نَارهُ حَيْثُ لاَيَقْرَؤُونَ الكُتُبْ
لهفِي لَمْ اكُنْ عارِفاً أنَهُمْ جاهِلُونَ بِأنَكِ يا أرضَنَا!!
تَصْنَعِينَ الحَيَاةَ لِمَنْ يَعْبدُونَ الحَيَاةْ
تَجْدِلِينَ مِنَ الشَّجَرِ النَارَ لِلْفَاتِكِينْ
تُوَلدِينَ بِكُلِ بِلاَدِ وَكُلِ رَصِيفْ
وَعَنِ ألغيْبِ لاَتَسْأَلِ المَيتِينْ
دُلَّنِي عَن أبِي أيهَا الرَائِدُ
قُلْ لَهُ يَفْتَحِ البَابَ لِي يَتْرُكِ الشَّمْسَ تَطْلَعْ فَوْقَ سُطوحِي
وَهَنَ السَّاعِدُ
وَأنَا بِالحَدِيثِ أدَاوِي جُرُوحِي
وَأتَى مَنْ يَلُومُ الرِفَاقْ
هَلْ هُوَ اللَوم مايَمِلِكُ المُرجِفُونْ
أمْ هُنَاكَ سِبَاقْ
لَيْسَ تُبْصِرُهُ فِي الظَّلام العُيُونْ

1973/4/25

وَصيةُ الوَليدُ بن طَريفِ الشَّارِي لأخْتِهِ ليلى

لاَ تَقِفِي سِيرِي خَلْفَ حُطَامِكِ إنْ سَقطَ النَّسرُ
فَغَداً يَتَأكَّدُ أنْكِ تَقْتَحِمِينَ وَفِي يَدِكِ الْبَحْرُ
أبدًا مَا يَبْكي المَوْتُورُ
وَمَشِيئَتُهُ الْقدَرُ
إنْ حَوْلَهُ سَطعَتْ شَمْسٌ لاَ تَغْرُبْ
لَوحَ لِي مِنْ قَبْرٍ مَهْجُورٍمُتْرِبْ
أنَا إنْ عُدْتُ غَداً فَسَيَرْتَعِدُ الْوَحْشُ
وَيَرُب الزمَنُ العَاتِي
وَتَمرّ يَدِي تَتَفَقد أرْضا مَهْجُورَهْ
وَاذَا مَا ضِعْتُ فَسوْفَ يَكُونُ رَمَادِي قَذي فِي عَيْنِ
مَدِينَةِ أعْدَاءِ الإنْسَانْ

وَستَسْكنُ نَفْسِي المَقْرُورَةْ
رَكِبَ الحَاضِرُ قلْبِي
قِطَارِي لاتَلْوِيهِ الرِّيحْ
أقْمارُ العَالمِ مَا عَادَتْ لِتُضِيءَ لَيالِيَّ
أوْ تَمْسحَ مِنْ دَمِيَ المَسْفُوحْ
أوَصلْتُ مرَاكِبَ آبائِي
لِخِضَمَ لَيْسَ لَهُ آخِرْ
وَتَرَكْتُ نَوارس بَحْرِ الرُّوم تُغْذي مِنْ لَحْمِي
وَتُوزِعنِي فِي كُلِّ بِلاَدٍ
أرْمَلَةٍ عَاقِرْ
صَفْرَاءُ مَدِينَتُنَا وَمَبَانِيهَا تَتَرَصدُهَا الجُرْذَانْ
أعْوَلْتُ عَلَى بَوَابَتِهَا
وَبَكَيْتُ بِهَا مِنْ حُزْنِي عَلَى أهْلِي
وَرَأيتُ رِجَالاً مَاتوا قَبْلِي
وَسَمِعْتُ حَفِيفَ الأوْرَاقِ
وَخَرِيرَ المَاءِ وَهَسْهَسَةِ السَّعفِ المَحْزُونِ تُحَدِّثُنِي
عَنْهُمْ
رُفَقَائِي اَسْألَكُمْ
مَا هَمِّي اِنْ مِتُّ وأنَا حَيٌّ ؟
سَيَلُوبُ سَحَابٌ فيهِ المَطرُ الأكْثَرُ خِصْبًا لِلنَّاسِ
وَسَيَمْشِي الحُرُّ وَلاَ تَقْفُوهُ عُيُونُ الحُرَّاسِ

1973/4/10

مَعَ ابراهيم بن أدهم في سِياحَتِهِ بِصَحْرَاءِ الحزْن

بَارَكْتُ يَدِي
حِينَ حَرَثْتُ بِهَا أَرضاً أعْطَتْ ذَهَبَا
أَصْحَابِي مَا عَادُوا نَغَماً يُطْرِبْ
أَيَامِي تَأكُلُنِي كَالسُوسِ إِذَا سَكَنَ الخَشَبَا
يَافالِقَ فجرِ القَلْبِ
أرانِي مِنْ فَجْرِي مَا زِلْتُ بَعِيدْ
صَحْرَائِي يَغْمُرُهَا مِلْحُ الصَّيْفْ
والقَيْظُ شَدِيدْ
لَمْ يرزِمْ رَعْدٌ كُنَا نَرْقُبُهُ
فَوْقَ الحَقْلِ المُتَعَطِشِ لِلْمَاءِ
طَالَتْ أحزانُ الخَنْسَاءِ
لَمْ تَطْلُعْ نَجْمَةُ عِيدٍ فَوْقَ قُرَانَا ... لَمْ نَحْمِلْ مِصْبَاحْ
لَمْ نَأكُلْ مِنْ خُبْزِ الأفْرَاحْ
نَتَبَلَّغُ فِي الزَّمَنِ الأعْمَى أورَاقَ الصَّبَارِ
نَصْنَعُ مِنْ زَبدِ البَحْرِ قِيثَارَةَ حُزْنْ
تَقْتُلُ صَمْتَ الأسْحَار

فهُنَا لاَ يَبْكِي مَنْ بِجوارِ الله أرَادَ حِمَاهْ
لاَيَنْتَفِضُ الإنسانُ هَلُوعاً
حِينَ تُراوِغُهُ دُنْيَاهْ
أسَفِي مَنْ لَمْ يَعْرِفْ طَعْمَ المَوْتِ العَلْقَمْ
كَيْفَ يَلذُّ لَهُ طَعْمُ العَسَلِ
لَو عَيْنُكَ ما نَظَرَتْ لِلنُّورِ السَّابِحِ فِي المَلَكُوتْ
مَا كُنْتَ لِتُدْرِكَ مَعْنَى الظُّلْمِةِ حِينَ تَموُتْ

- 1 -

وَقَرَأْتُ كِتَاباً كُنْتُ سَمِعْتُ بِهِ والشّعْر عَلى شَفتِي
لَمْ يُولَدْ بَعْدْ
غَنّى العُصْفُورُ بِه وَشَدَا
وَتَفَيّأَ ظِلَّ نَخِيلِ الخُلْدْ
عِنْدِي فِي قَلْبِي مِنْه حَدِيثْ
أرْوِيهِ لَكُمْ
مَا أطْيَبْ أنْ يَتَسمعَهُ الإنْسانُ وَأنْ يصْغي لِدوَاعِيه
وَلْيَهْنَأَ مَنْ بالحبِ يعيش لَيَاليه
عَجَبِي مِنْهُ كَيْفَ يَرَانِي فِي ظُلُمَاتِ اللّيلْ
إنْ كُنْتَ مَرِيْضاً سَوْفَ يَفُكّ ضِمَادَكْ
إنْ كُنْتَ غَرِيباً سَوْفَ يردُّ بِلادَكْ
لاَ يَعْرِفُهُ الجَائِعُ لَيْسَ يَرَاهُ الطّامِعُونْ
مَحْزُونٌ لَيْسَ يحب سِوى العَبْدِ المحْزُونْ

عيسى يوسف البحيري

1973/4/18

حُجرُ الذي ضَيّعَ أبْنَاءَهُ

.. وَسَهِرْتَ تَنْظُرُ مِنْ نوافِذِهَا لَعَل الضَّوءَ يَأتِي
يَا أمّتا طالَ الغِيابُ على الديارِ وما رجعْتِ
مرَّ الربيعُ وبعده الصيفُ المحّملُ بالثّمارْ
وأتى الخَرِيفُ يجُر ذَيْلَ الاصْفِرَارْ
والكُلُّ مرّ وأنتِ تحْتَجِزِينَ حُبّي
وَمَشَيْتُ فِي دَرْبِي
فَضيَّعَنِي بِجُنُحِ اللَيلِ دَرْبِي
الريحُ في قَلْبِي وفي عَيْنَيَّ تعصِفُ
والرعْدُ فَوْقَ مَزَارِعي الخَضْرَاءِ يَقْصِفُ
ضَيَعْتَنِي يَا حُجْرُ
أيْنَ تُراكَ تَقْذِفُ بِي وَلَيْسَ هُنَاكَ شَارَهْ ؟

بَقِيتْ بِعَاصِمَةِ الإمْارة
«بَكَى صَاحِبِي لما رَأى الدَرْبَ دُونَهُ
وَأيْقَنَ أنَا لاحِقان بِقَيْصَرَا»
لاتَبكِ عَيْنُكَ
بَلْ قِفَا نَبْكِي عَلَى أطْلاَل ماضِيْنَا المُهَانْ
رَبِحُوا الرهَانَ ، وَلَمْ أكُنْ أدْرِي بِأني فِي السبْاقِ أنَا الرِهانْ
اليَوْمَ خَمْرٌ
عِشْتُها ألْفاً مِنْ السَنواتِ فِي سِجْنِ الضميرْ
هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَمْ يَعُد شَيءٌ خَطِيرْ
بَعْدَ «القَنَاةِ» وبَعْدَ مَمْرِعةِ الجَنائِنِ
يَصْغُر الأمرُ الكَبِيرْ.

* * *

هَا أنني فِي جَوْف قَصْبهْ
أدمَتْنِي الطُرُقَات ضَيَّعتُ السُيُوف
أوْهَمْتُ أهْلِي أنني
سَأجَابِهُ اليَوْمَ الحُتُوفْ
وَإلَى المَتَاهَاتِ البَعِيدَةِ فِي الصَّحَارِيَ الجُرْدِ
أسْلَمَنِي الحَبِيبْ
يَا جَارتِي إني مُقِيمٌ مَا أقَامَ هُنَا عَسِيبْ

1973/4/28

مِنْ حَديثِ شَجَرَةٍ وطَائِرٍ سَجينٍ

تَمشي عَلَى حَقْلِي غَرِيبَ الرُؤَى
تَحْمِلُكَ الأجْنِحَةُ الخُضْرُ
وَوَجْهَكَ المِصْبَاحْ
وريشُكَ الغَيْمَهْ
صَليْتُ حِينَ انْبَثَقَ الفَجْرُ
تَحَمَّلُوا مِثْلَكَ عِبْءَ الوَجُودْ
اذْ قَهَرَ اللَيْلُ أمَانِيهِمْ
وَهُمْ عَلَى المَرْمَى البَعْيدِ ، الْبَعِيدْ
تَحْلُمُ بالخِصْبِ مَراعِيهِمْ
لَو سَألُوا الزَنْبَقَةْ
مَا عَرَفَتَ عَنْهُمْ سِوَى أنهُمْ
قَدْ قُطِفُوا قَبْلَ أوانِ الرَبيع
فِي ظُلْمَة مطْبَقَةْ

أو سَألوا الورْدَهْ
قَالَتْ وَلَمْ تَقْتَصِرْ
ضَاعَ الذِي يَصْنعُ مِنْ وَهْمِهِ
آلِهَةً يَعْبُدُهَا وَحْدَهْ
مِثْلَ بَرِيقِ الذَّهَبْ
مِثْلَ اصْفِرارِ الزَهْرَةِ الذَابِلَهْ
كانَ الضُّحَى فِي الغَابَةِ المجْدِبَهْ
أكْوَامَ أيَامٍ
قَدْ بَعْثَرَتْهَا الفِئَةُ المُذْنِبَهْ
لَوَّحْتِ لِي فِي الطَّرِيقْ
طَوَّلْتَ لَيْلِي بِالغِنَاءِ المُعَادْ
يَمْضُغُ فِي الأزْمِنَةِ المُتْرِبَهْ
آويتُ لِلْعُشِ
أبْحَثُ عَنْ حَبٍ وَعُشْبٍ طَرِي
فَصَدَّنِي النسْرُ
اذْ كُنْتُ مِنْهُ مِثْلَ شَخْصٍ بَرِي
أمْعَنَ فِي اذْلاَلِهِ الأسْرُ
تُرِكْتُ فِي دَوَّامَةِ الرِيحِ
رِيشِيَ نَهْبُ
لَوْ رَآنِي الربيعْ
لبَاتَ فِي لَوْعَةِ مَجْرُوحِ

1972/5/5

زَمَن الْخُرُوجِ إلى الحرّةِ

لَمْ أفلتْ يوما مِنْ صَحْرَاءِ الْحُزنْ
غَلَلْتُ يَدَيَّ بِأفكَارِي
غَنيْتُ بِلَيْلِ المقتِرِ وَالعَارِ
وَلَبَسْت هَوَاكَ رِدَاءْ
وَبِأسْوَاقِ المُدُنِ المصلُوبَةِ بِعْتُ المَاءْ
آلفتْ رُوحِي الإبْحَارْ
مَا زِلْتَ تَرَانِي فِي إقفَالِ أوْ ادْبَارْ
وَالْبَحْرُ طَحَالِبهُ سَكَنَتْ قَلْبِي
مَا أبْعَدَ هذا العَالَمَ عَنْ حُبِيُ
أتَسلَّقُ أغْصَانَ الاَشْجَارْ
أحْلمُ بِالثمرِ النَّاضِج في الصيف
والصَيْفُ تَرَدَى فِي الهُوَهْ

إنَ عِشتَ سَيُدرِكك الزَمَنُ الافاق
وَسَيَسْلبُكَ القُوهْ
أبْدَعَ مَا عَرَفَ الإنْسانُ الحُرِيةْ
أنَا كُنتُ سَمِعْتُ بِهَا فِي البَدْءِ تدق لَها الأجْرَاسْ
فَتخِر صُرُوحُ الوَثَنيه
لَمْ المسهَا بِيدِي لَمْ أعْرِفْهَا مرّهْ
بِالرَّغمِ مِنْ اسْتنْزَافِ دِمَائِي فِي رَمْلِ الحَرّهْ
حَارَبْتُ مَشَيْتُ عَلَى الحَسكِ الدَّامِي
صُبِغَتْ بِاللَّوْنِ الاحْمَرِ أيامِي
جَاهَدْتُ سِنِين
وَمَشَيْتُ وَرَاءَ الأعْرَجْ وَالعَافِي
وَوَعَيْتُ حَدِيثَ الالآفِ
لَكِني لَمْ أشْرَبْ مِنْ مَاءٍ كَدّرَهْ المَنّ
يَاوَاهِبَ أيَامِي الأصْدَافَ الجَوْفَاءَ
قِفْ خَلْفَ كُثِيبِ الرّمْلِ
عَشِيَةَ يَحْدو الرّكبَ الحُزْنُ
فَيَزيدُ لَمْ يَعْرِفْ أنا بَذْرَهْ
رضيت بِالنَّفْيِ وَبِالْهِجْرَهْ
لَكِنْ لَمْ تَرْضَ بِان تَبْقَى
صَوْتًا يُبْتَاعْ
وَضَمِيرا يُخْمَدُ حِينَ يَرَى الذَّهَبَ اللمَّاعْ	1973/5/9

أشواقُ ذاتَ لَيْلَةٍ

كُنتُ قَبْلَ هَوَاكِ
أَسِيرُ عَلَى المَاءِ أَقْتُلُ كُل الضَّبابِ الذِي يَمْنَعُ
الشمسْ أنْ تَطْلَعَا
وَرَمَانِي هَوَاكِ
فَمَا عَادَ فِي السرِّ شَيْءٌ لأخْفِيهِ
سِيَانِ أنْ يَظْهَرَ السِرّ أوْ يَقْبَعَا
كُنْتُ لاَ أرْكَبُ اللَّيلَ قَارِبْ
كُنْتُ أعْرِفُ أنِي المُسَالِمُ فِيكَ
وَأنِي المحَارِبْ
وَأتوا بِي إلَيْكِ
وأنْتِ عَرُوسُ المَدَائِنِ
وَالحُزْنُ أسْلَمُ لِلقَلْبِ حِينَ يَصِيرُ الفَرَحْ
طَائِرا بِجَنَاحٍ وَحِيدْ
وَتَعُودُ الأغَانِي بِسِجْنِ المَسَاءِ قُيُودْ
لَسْتُ أحْمِلُ شَيْئاً

فَيَا أمهَا أنْتَظِرِينِي حَتَّى أعودْ
يَحْلُم النَّاسُ فِي بلدي بِصَهِيلِ الجِيَادْ
وَانَا لَستُ أحْلُمُ إلاّ بِعَيْنَيْكِ
وَالفَجْر يَمْسَحُ مِنْ مُدْلِهِمّ اللَّيَالِي
قَدْ أقَامَ السُدودَ حِيَالِي
جَرِبِي أنْ تَكُونِي سَرَابًا وَغَيْمَةْ
وَحِكَايَاتِ رَابِيَةٍ غرِقَتِ فِي الضباب الشفيف
أنَا لَنْ أتْرُكَ الحُبَّ حَتى أمُوتْ
جَرِبِي كُلِ شَيْءٍ فَمَنْ لَمْ يُجرِبْ
لَيْسَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَجِيءُ الزَمَانُ
وَكَيْفَ يَفُوتْ

مُذَكّراتُ أبي يَعْقُوبْ الشَّاهِدْ

- ١ -

مَا عَادَ منْ يَحْمِلُ مِثْلِي الوِزرْ
أرى وَلاَ أرَى
أَبْحِرُ ثُمَ يَحْتَوِينِي الْبَحَرْ
غَدا غَداً إذا حَمَلْتُ مِذوَدِي
وَسِرْتُ فِي الأسْوَاقْ
وَجُبْتُ فِي سِيَاحَتِي الآفَاقْ
وَسَألونِي عَنْ هَوَى مَحْبُوبَتِي
سَوْفَ أقُولُ كُلَّ مَا عَرِفْتُهُ
لِلناسِ لِلإخْوانْ
وَللذِينَ هَجَرُوا البِلاَدْ
وَأصْبَحُوا فِي دَمْعِنَا سُكَانْ

- 2 -

كُنْتُ وَمَا زِلْتُ بَعِيداً عَنْكْ
أبِي رَمَانِي فِي ظَلاَمِ الْجُرحْ
حَملتُ فِي شَط «الجَرِيدِ» المِلحْ
وَلَمْ أقُلْ إنِيّ ....
لاِنَ الْفَجْرَ فِي بِلاَدنَا جَمِيلْ
لاِنَ فِي النَّاسِ أخِي وَصَاحِبِي
وَالْجارَ وَالْخَلِيلْ
وَكُلُّهُمْ يُولَدُ ألْف مَرّةْ
وَكُلُّهُمْ يَحْمِّلُنِي فِي قَلْبِهْ الأحْزانَ وَالْمَسره

- 3 -

لأِنَ مِنْ نَهْوَاهْ
أكبَرُ مِنْ كُل حَدِيثِ النَّاسْ
أعْظَمُ مِنْ كُلّ وَلاءِ النَاسْ
أرّقنا الصمْتُ وَعِشْنَا الحُبّ وَالاِحْسَاسْ

- 4 -

يَمْشُونَ لِلْبَحْرِ وَلَيْس يَعْرِفُونْ
يَحْثُونَ فِي وَجْهِي تُرابَ الْكرهْ
كَأنّنِي أعْمَى بِلاَ عُيُونْ

- 5 -

قَالَ أبِي : إنَّ الرِيَاحَ هَاجَرَتْ لِلْشرقْ
مَسِيرُهَا عَامُ ...
وَلَوْدَرَى بِأن الشَرقْ
قَدْ أقفَلَ المَرْفَأ مِنْ زَمَانْ

لأُرْجِعَ السُفُنْ
وَأُغْلِقَ الأبوابَ فِي الأوانْ

ـ 6 ـ

تَرَكْتَنِي فِي البَلَدِ الذِئبِ بِلاَ نُقُودْ
عَلمْتَنِي الرُكُوعَ والسُجُودْ
عَلَمْتني صِنَاعَةَ الكَذِبْ
قَتَلْتَ فِي أعْماقِي المُغَامَرة
أنْسَيْتني الأمْجادَ والحَسَبْ
فَصِرْتُ مِثلَ رِيشَةِ الريَاحْ
يَرْمِي بِيَ المَساءُ لِلْصَبَاحْ
يَشُد فِي ذَوائِبِ الحِبَالْ
يَهْرُبُ مِنْ شَوَامِخِ الجِبَالْ
يَعْبُدُ كُلَ زائِفْ
يَحْلُمُ فِي رَابِعَةِ النَّهارْ
بِالخُبز واللَفَائِفْ

ـ 7 ـ

أطْهُو لَهُمْ فِي مَطْبَخِي الكَلاَمْ
أبْحَثُ عَنْ سَاغِبِهِمْ
فِي ضَجَّةِ الزِحَامْ
وَمَا عَلَيّ مِنْ لظَى النّار ومِنْ
مَوْجِدَةِ اللِئّام
إذَا رَأيْتَ الحُزْنَ فِي أعْماقِهِمْ
يَقضّ فِي لَيْلِهِمُ المَنَامْ

- 8 -

خَبّرنِي البَحْرُ بِقُرْبِ مَوْعِدِ الطُوفَانْ
وَلَمْ أكُنْ أهْتَمِ بِالطُوفَانْ
لِانِني صَحِبْتُ فِي الْفَلَكِ القَدِيمْ نُوحْ
وَعِشْتُ دَهْرِي بَعْدَهُ
بِالْكَبِدِ ألمجْرُوحْ

- 9 -

لَوْ تُسمِعُ النِدَاءْ
تَعرتْ المَزارِعْ
وَخَرَجَتْ بِلاَدُنَا فِي زَحْمَةِ الشَّوَارِعْ
تَجْلِبُ كُل مُشْتَرٍ وَبَائِعْ
وَجَارُنَا مِنْ قَبْلِنَا قَدْ نَشرَ الشراعْ
أخرَجَ «شِبيُونَ» مِنَ الدِيَارْ
وَبَعْدَمَا رَمَاهْ فِي غَيَاهِبِ البِحَارْ
لَحِقَهُ كَي يَأكُلَ الرْغِيفَ مِنْ يَدَيْهْ
وَيَعبدَ الأقْمَارَ فِي عَيْنَيْهْ

- 10 -

أحِبهَا وَهْيَ عَلَى المَدَى
طَرِيحَةً تَغْمِدُ فِي جَسَدِهَا المُدَى
لاَهِيَــــةً
فِي شَعرِها حَدِيقَةُ السَّنابِلْ
بَاكِيَةً تَحْلُمُ بِالْرَبيعِ وَالعَنَادِلْ

الرُّجوعُ مِنْ مُدُنِ الملْح

- 1 -

غمَرَتْنِي مِياهُكَ يَا بَحْرُ
كُنت أَنا الفُلكَ عَادَ مِنَ الرحْلَةِ المُتْعَبَةْ
بَعْدَ عِشقِ الشَّواطِىء وَالموْتِ والمُسْتَحِيْلْ
كُنْتُ أهْتِفُ مَا أعْذَبَ البَحْرَ مَا أعذَبَهْ
غَيْرَ أنَّ النَخِيْلْ
كَانَ يَصحَبُنِي فِي الليالي الطويلة
وَيُؤرِقُنِي بالحَدِيثِ الطَوِيلْ
كَانَ يملأنِي خُضْرَةً وَحَفِيفْ
وَأنَا كُنْتُ يومًا تَمنيْتُ أنْ يُصْبِحَ البَحْرُ واحَهْ
لَوحَتْ وَجْهَهَا الشَّمْسُ
أَطْلَعَ فِيهَا الالِهُ صَبَاحَهْ
لَيْسَ تَعْرِفُ غاباتها مَا الخَرِيفْ
غيرَ أنَّ الأَمانِي خيولُ المحبين والفقراءْ
يَصبحُ الوهمُ طفلاً وَيَكْبرَ حِينَ يعزُّ اللقَاءْ

- 2 -

لَوْ سَمِعْتُ حَدِيثَكَ يَاسَنْدَبادْ
لَوْ عَرَفْتُ المَكَانَ الذِي طَوَقَتْهُ الجِيَادْ
للبِثْتُ هُنَالِكَ
حَيْثُ الأزَاهِيرُ لاَيَعْتَرِيهَا الذُّبُولْ
والسَّوَاقِي التِي لاَتَنَامْ
وَتَطُولُ الاقَامَةُ أوْ لا تَطُولْ
يَومَ أوهَمَنِي النَّاس
أنكِ فِي الحَقْلِ أجملُ ورْدَهْ
وأنكِ خَضْرَاءُ جَاءَ بِهَا الاخْضِرَارْ
فَطَلَبْتُكِ حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ البَحْرِ
ضَيعْتُ فِيكِ المَودَّةْ
وَتَولَّى نَهَار وَجَاءَ نَهَارْ
وَاذا بِالسَّرَابِ الذِي كَانَ يَخْدَعُنِي
فِي صَحَارِي العُذَيْبِ تَجَلى
وَمَا كُنْتِ يَا أم فِي العينِ أحْلَى
وَمَا كُنْتِ كَفْوَاً لِمَا فِي فَمِي مِنْ أغَانِي
تَعرّيْتُ يَوْمَ تَعَرى زَمَانِي
وَاذْ ذَاكَ أصْبَحْتُ مِنْكِ بَعِيدْ
وأغْلَقت فِي الحِينِ بَابَ الحَدِيدْ

حَدِيثٌ عَنِ النَّاسِ وَالأَرْضِ

حِينَ شَاهَدْتهُمْ فِي السُفوحِ يَلمُّونَ رِيشَ النُّسُورْ
يَجْدِلُونَ الأكَالِيلَ لِلْمُدنِ التُونِسيَّهْ
قَالَ لِي صَاحِبِي : بَعْدَمَا أجْتَازُ كُل الجُسُورْ
أَنْتَ لَنْ تحطِمَ القَيْدَ حَتَّى تَذُوقَ المَنِيَّهْ
حِينَ لَمْلَمَ فَوقَ ذُرَاكِ النَّهَارُ جَنَاحَهْ
وَبَدَا اللَّيْلُ طَائِرَ عُشٍ زَغِيبْ
وَالْجَبَانُ يُوَارِي سِلاحَهْ
كُنتَ يا بلدِي تَتَحدَّى الخُطُوبْ
فَعَلى صَدْرِكَ اسْتَيْقَظَ المَجْدُ
عِيْدُ الضَحَايَا رَأيناكِ فيه عروسْ
وَعلى صدركِ انْداحَ موجُ البحَارِ
وفوقَ جبينكِ وهجُ الشموسْ
يومَ اشعلتِ نَارَ الكِفاحْ
وأنرتِ بهَا كُلَ صدرٍ تَنَامُ عليهِ الجِراحْ
وَسَقيتِ بهاكُلَ غَيْمَهْ
تَحْمِلُ العُشبَ تُخْصِبُ أمطَارُهَا كُل خَيْمَهْ
وَحَدِيْثُ الكِفَاحِ طَويلْ
حِينَ لمْ يُسْعِفِ الدَّمعُ عيْناً

وألهبَ سَوْطُ المغيرِ الظُهورْ
والحُفاةُ العُراةُ يجُرُّونَ عبءَ الدُّهورْ
كُل طفلٍ عَلى وَجْههِ مَسْحةٌ تونسيهْ
كُل طِفلٍ بِعَيْنَيْهِ مَلْحمَةٌ عَرَبيهْ
كَانَ يَكبَرُ يَهرمُ يَمْضي اِلَى القَبْرِ فِي غُرْبَةٍ قَاسِيهْ
فَكَأنَّ البِلاد التِي عَاشَ فيهَا
مَوْطِنُ الفِئَةِ البَاغيَهْ
وَمَنِ الغَيْبَ مَالاَحَ وهْوَ بَعِيدْ
تَحبلُ الأرْضُ فِيهِ وَتَأتِي بِكُل جَدِيدْ
وَجَدِيْدُكَ يَابَلدِي مَوسِمٌ أخْضَرُ
ونجومٌ واشرعةٌ تبحرُ
وحداءٌ وقافلةٌ تسمرُ
وعديدٌ وعدّتهم اكثرُ
وَوجوهٌ كأجملِ مَايحضُنَ الوَطنُ الاكْبَرُ
أنتَ تَعرِفُهَا
وتُقيمُ السُّدودَ بِمَا فِي سَوَاعِدِهَا مِنْ صُمودْ
تَشرَبُ الخُلْدَ مِنْ دَمِهَا
وَتبَاهِي بِهَا فِي الوُجودْ
آهِ مَا أجْمَلَ البَلَدَ الطَيِّبَا !!
حِينَ تَلقى بِهِ أهْلَهُ الطَيِّبِيْنْ
يَقْسِمُونَ الرَغِيفَ
وَيُعْطُونَ لِلأرضِ حُبَ التَنينْ

1974/2/28

صبابـــات

عَطشانُ يَاعُيُونْ
عَطْشَانُ يَاشَوَارعَ المُدُنْ
لَبثْتُ فِي السُكُونْ
يَأكلنِي الخَوْفُ وَيَمحُو جِدّتِي الحزنْ
أخَالنِي قَدْ ذُبْتُ فِي الزَّمَانْ
أسْهَرُ فِي قُطُرُ بَلَ القَدِيمهْ
أعْصِرُ خَمْرَ الحُبِ والنِسْيَانْ
أشْرَبهَا فِي غَفْلَةٍ
مِنْ أعْيُنِ الهَزِيمَةْ
وَكَل جُرْح فِي دَمِي
لَمْ يَعْرِف الضَمَادَةْ

وَكُل لَحْن فِي فَمِي
لَمْ يَعْرِف السَّعادَةْ
وَكُل شَيء بِعْتُهُ بِالرَخْص فِي المَزادَهْ
حَمَلْتُهُ لِكَيْ أُلاقِيكَ بِهِ يَاظَالِمِي
فِي زَحْمَةِ الأيَامِ
وأقْتَضِيكَ حَيْثُ لا
يَنْفَعُكَ الكَلاَمْ

* * *

عَطْشَانُ لِلْحبّ الذِي
أسْلَمنِي لِلْتَيهِ وَالْضَيَاعْ
تَرَكتنِي أطْعَمُ فِي صَحْرَائِهِ
مِنْ لَبَنِ السِباعِ
تَرَكتَنِي التِي الذي لم القه
فِي شدة الصراع
حِينَ رأيتُ ماء ما
يَنْسَاب فِي الجداول
حِينَ سَمِعْتُ لَحْنَها
فِي نَغمَة العنادِل
رَأيتَنِي من ندم
أعض من أناملي

حَامِلَاتْ الرَايَاتِ السودْ

وَجاؤُوا مِنْ وَرَاءِ الغَيْمِ يَنْتَهِبونَ أرضَ الله
وَوَجْهَتُهُمْ بِلَادُكَ
يَامُدِيرَ الراحِ فِي وَضحِ النَّهَارِ
وَيَا كَبِيرَ الجَاهْ
وَخَلْفَ المَوْكبِ ارتَعشتْ بِحَارُ اللّيلْ
وأقبلتِ القَرِيْبَاتُ البَعِيدَاتُ
سواد فِي العُيُونِ
وفي الشعُورِ المُسْدَلاَتِ عَلَى بَيَاضِ النَّحرْ
وَفِي الأثوابِ شَفّتْ عَنْ رُخَامِ الصَّدرْ
* * *

تلاقَيْنا وَسِرْنَا فِي زِحَامِ النَّاسْ
وكَانَ طَرِيقُنا صَعْباً
جِرارُ المَاءِ نَحْمِلُهَا
وَينْبُضُ مَاؤُنَا
والحبُ فِي أجْفَانِنَا سَاهِرْ
وَحَينَ تَلُوحُ مِنْ بُعْدٍ دِيَارُكَ
أعْشَقُ الاشياءَ فِي عَينَيكْ
فَيَا بَحْرا عَميقا أعْجزَ البحَّارْ
وَيا بِئْراً بِدُونِ قَرارْ ....

* * *

وَدَارَ الحُزْنَ وانْشَعبَتْ دَوَائِرهُ بأعْيننا
لِمثِلِكَ تُرفَعُ الرَايَاتُ سودُ فوقَ مِنبَرِنَا
لِمثِلِك يَخْشَعُ القَلْبُ
وَيهْجُرُ بَيْتَهُ المُشْتَاقُ كَيْ يَلْقَاكْ
فَأنْتَ الخَمْرُ والشرْبُ
وانْتَ نِدَاء آلاف من الأفْواهِ تَثْغو في بِلَادِ المْاءْ
وَعَبْرَ الرِيحِ وَهْيَ تَنُوحُ فِي الصَّحْرَاءْ

المحْرَاثُ يَشُقُّ تُرْبَةَ الحقْلِ

عَلَى تُرْبَةٍ يَعْجِزُ المَاءُ أنْ يَجِدَ الرِيّ فِيهَا
وَقَفْتُ وَلِي بِالحُقُولِ عُهُودْ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الأرْضِ
مِنْ قَبْلِ أنْ يَهْرِمَ الحُبُّ فِيَّ
قَدِيماً جَدِيدْ
أنَا شَوْقُ هَذِي السَّنَابِلِ لِلأخْضِرَارْ
أنَا لَيْلُ تِلْكَ المجَرّةِ تَغْمُرُكُمْ بِالضِيا
جُبْتُ كُلَ الدِيَارْ
وَعَرفْتُ الأعَادِي مِنَ الاصْدِقَاءْ

* * *

عِشتُ اسْطَورَةَ الوَهْمِ
وَالوَهْمُ يَخْدَعُ كُل عَشِيق
رُبما ..
غَيْرَ أنّي أفِقْتُ عَلى صَرْخَةٍ
كُنتُ كالصخْرةِ الجَامِدَةْ
هزّها مارِدٌ وَرَمَاها
وأتَتْهَا الرِياحُ فعرت غِطَاهَا

* * *

كنْتُ كالنّسْرِ مِنْ بَعْدِمَا سَكَنَ القِمَم العَالِيهْ
عَادَ يَقبَع فِي السَفْح
يَسْكُنَ في المدنِ الخَاليهْ
آه ما أوحش المدن الخَالِيهْ
تَسْتَطيع بِأنْ تَزْرَع الأرضَ حبّاً
غيْرَ أنّك تَعْجِزُ أنْ تَزْرع الأرَض حُبّاً

* * *

وعَلَى وَجْهِ سَيدَتي فِي الليالي الحَوَالِكِ
كُنْتُ أجمعُ مَا أخْرجتْهُ البِحَارْ
مِنْ لآلِي وَمِن دُرَرٍ وَنُضَارْ
وأصُوغُ الغِنَاء لَهَا وَحْدَهَا
فَهيَ مثْلِي تُحِبُّ الغِنَاءْ

وهِيَ مِثْلِي لَهَا وَجهُ طِفْلٍ
وَنَافذَةُ وغمَامَه
وَأشياءُ أخرَى صَغيرهْ
وَتَضحَكُ حِيناً
وتحْزنُ عِندَ أشتِدَادِ البَلاَءْ

* * *

اِذَا كُنْتَ مِنْهُمْ
فَأنتَ الذِي لَكَ كُلُّ الْحيَاةْ
وَانْ كُنتُ مِنْ غَيرِهِمْ فَيَقِيني
بِأنَكَ عَبْدُ أضَاعَ الحَيَاهْ

العَائِـــدُ

يَطْلَعُ مِنْ خَلْفِ السَّرَابِ يَحْمِلُ الوَصَايَا
يُشْعِلُ مِصْبَاحَ عَلاءِ الدِينْ
مِنْ بَعْدِمَا طوّفَ فِي المَدَائِنِ الكَثِيرةِ الخَطَايَا
وَتَاهَ فِي أرْوِقَةِ السُّجُونْ
جَاءَ كَأنَّ الأرَض كَانَتْ قبْلَهُ جَزيرَهْ
كَأنَّ مَا فِيهَا مِنَ البحارْ والصَحَارَى
منزلةٌ صغيرةٌ صغيرهْ
ولَمْ يكُنْ كَعَهْدِهِ

سَحَائِبُ الأحْزَانِ فِي عَيْنَيْهِ تُمطِرُ
جاءُوفي يَمِينِهِ النُجُومْ
وَفِي يَسَارِهِ الرَبِيعُ الأخْضَرُ

* * *

حَدّثَنَا بِأنَّ مَا كانَ مَضَى
وأنّ مَا يَكُونْ
أحْلى مِنَ الاحْلاَمِ فِي لَيْلَةِ صَيْفٍ حَالِمَهْ
أشْجَى مِنَ الالحَانِ فِي شِفَاهِ حُبٌّ نَاعِمَهْ

* * *

أسْرَى بِهِ الحُبُّ عَلى جَنَاحِ طَائِرٍ غَرِيْبْ
أقْرَبُ مِنْهُ أمَلِي الْبَعِيدْ
يَقْبِضُنِي بِبُعْدِهِ
يَبْسُطُنِي بِقُرْبِهِ
كُنْتُ وَمَازِلْتُ أنَا المَصْلُوب والصّلِيبْ

* * *

هَذَا زَمانُ الْفرحِ الْكَبِيرْ
والعَالَمُ الصّغِيرْ
أعْجَز مِنْ أنْ يَقرأ الحُرُوف
أو يَفْهَمَ المَعَانِي
فَلْتنقرِ الدُّفُوف
وَلْيَطْرَدِ الزّمَانُ مِنْ بوّابَةِ الزّمَانِ

1974/4/5

عَلَى مَشَارِفِ يَافَا

- 1 -

لوّحِي يامَشَارِفَ «يافا»
لَوّحِي بِيَدٍ لاَيَرَاهَا أحَدْ
أنا لِي موْعِدٌ سَوْفَ ألْقَاهُ حَتَّى
لَوْ قَطعْتُ جَمِيعَ صَحَارى الأبَدْ

- 2 -

حيْنَ عبرتُ الحُلْمَ القابعَ فِي اعماقِ النَفْس
ومشيتُ على طُرُقَاتٍ مَسدودَهْ
بِصخورِ اليأسْ
ورَميتُ على أعتَابِ بلادٍ باكيةٍ خَرساءْ
حَزْني وعذاباتِ الخَنْسَاءْ
لوحَ لِي برقٌ من خلفِ ثنايا الْغيمْ
وترامَتْني الأصواتْ
كن ناراً تحرق اشجار الغاباتْ
كُنْ نَسغاً في عِرْقِ الأحْداثِ
ودسْ بالأقدام العُريانةِ وَجْهَ ٱلآتْ

- 3 -

يَسكنُ الوحشُ داري
ويُضمِدُ جرحُ انكِسارِي
وبِليْلي يذوبُ نَهارى
وأراني على كُل لوحَةِ شَارعْ
وَعَلى كلِ زيتُونَةٍ
وبِكُل بلادٍ وَعاصِمَة أجْنَبيه
طَالِعاً مِنْ صميمِ القَضيهْ
فأنا هدفُ المَوتِ حَاملُ كُلَّ ذنوبِ البَشَرْ
وأنا اللّهبُ المُستَعِرْ
وأنَا الْحي مَهمَا تَطاوَل لَيلُ السَّفَرْ

- 4 -

سَألتْ قبرَة شجرة شوحٍ غارقةٍ في الحُزنْ
كَم مِن عاصِفة مرّت بسفوحِ الجبلِ العَالي
وَكم من نارٍ أشعلها القرَصانُ
وأنْتَ هُنَا !!
لاَ النارُ ولاَ الريحُ الهَوْجَاء رَمت بكِ فِي الهُوَّةْ
مِنْ أيْنَ تُراكِ أتيتِ بمَالَك مِن قُوهْ

- 5 -

أناعَيْنِي هُنَا
والمتاهات تُفْصلني عن حبيبةِ قَلْبي

غيرَ أنّي أرَى كُلَ شيء هُنَاكْ
الشَواطي والقدسَ والشَجرَ الأخْضَرَا
وَمَراكِبَ عُمريُ تجدِّفُ فِي بَحْرِهَا آنَ أنْ تَعْبُرا
فَهيْ ملء دَمي
وهي في خاطري
وَهْي بينَ ضُلوُعي
أتقّي حَر أنفاسِهَا بدُمُوعِي

- 6 -

زَرَعَ الفلاحُ الأرْض
وَعَم الْغيثُ النَافِعُ أرجَاءَ الْحَقْلِ
وتَعَالَتْ زَغْرَدَةُ النِسَوةْ
النّارُ سَرَتْ فِي الْحَقْلِ
وَفي لَهَبِ النَارِ القُدْسِي يموتُ العَارْ
وَيذوبُ الثلجُ وتصفُو مرآةُ الْبحْرِ
وَعَلى صَفْحَتِهَا تُبْصِرُ «يافَا»
وجْهاً أنقَى من دَمْعِ الفَجرِ

- 7 -

لَوّحِي لَوّحِي مِنْ بَعيدْ
بِيَدٍ جَاسِيَهْ
غَضَّنَتهْا السِنُونُ
وألْوتْ بِهَا الفِئَةُ البَاغِيه

بَرْقِيَّةُ تَعْزِيَةٍ للبِحَارْ

- 1 -

سَتأتِي النَّوارِسُ مُعلِنَة عن قُدُوم شِتاءٍ جديدْ
وَيحْتَدِمُ المَوجُ والريحُ تَعْصِفُ في كُلِ رُكْنٍ بعيدْ
فاينَ تُرى سَيكُونُ أتِجَاهُكَ ؟
اِنْ سِرْت زلَتْ خُطَاكَ
وَانْ عُدْت فالبيتُ قَفر وَحُلْمُ الليالِي بَدِيدْ

- 2 -

لَكِ الله كُنْتِ برِيد الصباحْ
وَكَانَتْ شَواطِئُكِ الحَالماتُ دواءَ الجِراحْ
فَانْ عَادَ مِنْ بَعْدِ مَا هَوَّمَ المَغْتَرِب

تَلُوحينَ زرقاءَ زرقاءَ
حَتّى كأنَّ المحَبَةُ زَرْقَةْ
ودمعَ الحَبيبَةِ زُرقهْ
وحضن الامومة زرقه
وحتى كأنَّ الرمال مفارش فضه
وحواشي الاصيلِ ذهبْ
والزمانَ مسافِرْ
وَفي خاطِري أنَهّ لاَ يَعُودْ
لأنَكِ يَا أمُ عَاقِرْ
وقدْ كُنْتُ اعرِفُ للبحرِ أماً وَلُودْ
وَيبقَى لَكِ الصّمتُ - وَيْحَك -
مِنْ بَعْدِ مَا ضَم صَدْرُكِ كُلَ جَمْيلةْ
ومنْ بَعْدِمَا نثرَتْ شَعْرَهَا كُلُّ حُورِيةٍ فِي النَّسائِمِ
واحْتَضَنَتْكَ اللّيالِي الطّوِيلَةْ
يَغيبُ المَدَى فِيكِ ، تَسْوَدُّ آفاقُكِ الحَالِمَةْ
وَتَمضِي السُفُنْ
اِلَي حَيْثُ تَقْبعُ فِي ظَلَماتِ المَرَافِي
وأَفضلُ مِنْ سَأمِ الأنتِظَارْ
عذَابُ المَنَافِي

- 3 -

يقُولُونَ عَنْكِ بأنكِ دُنْيَا غريبهْ
وانك ثورَهْ
وانَكِ مهدُ الحضاراتِ تُعْطينَ لِلْكَوْن خَيْرَهْ
وَلَكِنَني لَمْ ار فيكِ الاّ سَجِيناً يُهَذِّبُهُ الْقيْدُ
اِنْ عَاش مَاتْ
وَانْ مَاتَ يُسْدَلُ عَنْهُ سِتَارُ الْحَيَاةْ

- 4 -

تُحَاصِركِ العَاصِفَهْ
وَتُذْرِي عَلْيكِ السَّماءُ الدُّمُوعْ
تَرِيْنَ الخُضُوعَ وَتَسْتَسْلمينَ لِذُل الخُضُوعْ
وَمَا زلتِ نَشْوَى ، بِأنكِ خَلْقٌ قَوِي
وَمِنْ لذَةِ التيهِ مَايُسْبكِرُ
تَجاهَلْتِ فِي كوننا كُل شيء
وَكُنْتِ تَظُنِينَ أنكِ مِنْ كوننا أكْبَرُ
لسوْفَ تَجِيْءُ الرِيَاح الثقِيلهْ
وَسَوْفَ يَنكَسُ كَل شِرَاعٍ
وَاذْ ذَاكَ فَوقَ جَناح النَهارْ
سَأبْعَثُ تعزيةً لِلبِحَارْ

لَنْ أَمُوتَ

- 1 -

سَأبقَى صَنوبَرةً في السفُوحِ
تُصارِعُ ريحكُمُ العَاتِيهْ
وَضوءِ مَنَارٍ يَلُوحْ
وَسَاقِيةً فِي بساتينكم جَارِيهْ
إِذا ضَاعَ خَطْوِي وراءَ الظّلاَمِ الرَّمادِي

انَا لنْ اسَافِرْ
أنَا لَنْ أمُوتَ
وخلف السَتَائِرِ تَهْفُو الأغَانِي
وَخَلْفَ السَتَائِرِ يَسْهرُ شَاعِرْ

- 2 -

سَيَبْقَى زَمَانِي بِدُونِ أنتِهَاءْ
سَتَبْقَى سُطُورِي
اشْتِهاءَ الصَحَارِي لِقَطْرَةِ مَاءْ
سَتَبْقَى وَمِيضَ البروقِ ودَمْعَ الشِتَاءْ
وإنْ جَاءَ مَنْ يَحْمِلُ النَجْمَ فِي عَيْنِهِ الآسِيهْ
وَيَحْضِنُ أحْلاَمَهُ وَيُغَنِي
وَيَخْلِقُ فِي كُل جزءٍ مِنَ الثَانِيهْ
سَأعْلَمُ أنْ المحبينَ انْ سَلّمُوا ودَّعُوا
وَإنْ وَهَبُوا الْحُبَّ
لاَ بُد انّهمُو سَيَرَدّونَ مَا ضَيَّعُوا
إذ أشْتبكَ النّهْرُ بِالبَحْرِ
والأرْضُ بِالأفْقِ
والْغربُ بِالشَرْقِ
والمسْتَحِيلُ بِمَا لاَ يَكُونْ
سَأفنَى وَبعْدي تَظَلَ السَوَاقِي
تَنُوح تَنُوحُ وَلاَت سُكُونْ

يومياتُ المتنبِي في شِعْبِ بَوانْ

- 1 -

لَوْ عَلَى الرَمْلِ ألقَيتُ عِبْئي
لَهانَ الذِي كَانَ يَا وَطَناً عِشْتُ فِيهِ كَسَائِحْ
والمَلاَعِبُ فِي شِعْبِ بوانَ قدْ سكنَتهَا
الطيوُر الجوارحْ

- 2 -

لم يكنْ لِي طريقٌ اليهَا
غيرَ تلكَ المَسالكِ
حيثُ تَمدُّ الظِلالُ نجوماً من الشَّمسِ
تُشْرقُ منها المَعَابرْ
والغَريبُ يُفَتِش عَنْ نَفْسهِ فِي الْوجَوهِ
ويبحَث عَنْ نَافِذَةْ
واميرةِ قصرٍ تهيمُ بشاعرْ
وأنَا كنتُ أحملُ صورةَ شاعِرْ !!
غيرَ أنْ لِسَانِي ووجهِي وعنوانَ
منزْلنا والهَوْيهْ
كلّهَا لمْ تَكُنْ فِي يديً

- 3 -

آه كَمْ يأكُلُ الصّمْتُ وَجْهِي
صَخَبٌ يَملأُ القلبَ
والعيشُ رُفْه وأسواقُ بَوانَ
يَعْمرها السَابِلُونْ
وأنا في زحِام الشَوارعِ
سنبلةٌ خبأتْ سرَّها
وَحَدِيثٌ مكتَمْ
وسَجِينٌ وبوابةٌ مغْلقهْ
وعيونٌ تفتشُ عن شَوقِها فِي الْعيونْ

- 4 -

لاحَ لي أنها لم تَغِبْ
فهيَ تمتص صَوْتِي
تَسْكُنُ العمقَ تَطّلُعُ منْ كُلّ بَيْتِ
تحْتَوينِي كَمَا لَوْ أتَتْ سُحُبٌ ثرَةٌ
وأمدّتْ سُجوفاً منَ القُطْنِ
غطَتْ بِهَا ضَحكاتِ المَدِينةْ
تحْتَوينِي فأنسَى السِفارَ وأنْسى السّكِينةْ

- 5 -

لَوْ تراني
أغطّي دَيَاجِيرَ هَذِي المدائِنِ بِالْبَسْمَةِ الآسِيَهْ
أشْرَبُ الفجرَ مِنْهَا أخْضِرار العُيُونْ
وفي اللّيْلِ زَقزَقَةَ الأنهرِ الصافِيه
ومَن يعرِفِ الماءَ يعرِفُ قصةَ هذا الغَريبْ
ويَعْرِف كَيْفَ تَظَل الصَّحَارىَ عِطَاش
بأرض بِهَا الرِيحُ ....
لَوْ كُنْتَ تدْرِي بِمَا فِي القُلُوبْ
قُمْتُ هذَا الصَبَاحْ
وسَألْتُ التي لا تَعِي ما نزيفُ الجراحْ
أمِنَ البَابِ يدخلُ أمْ يَخْرجُ النَاس
والارْض
هَل كُل أرض لَهَا رَائِحةْ
أمْ جَميعُ الارَاضِي كأيامِنَا مَالِحهْ
إنهُ صَوتُهَا
كَعُبَابِ البِحَارِ يُنَادِي السُفُنْ
كَالمَصَابِيحِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمهْ
تَزْرَعُ الأفقَ بِالنُّورِ
تَحمِلُ دِفءَ الحَبِيبَهْ
وأنَا الغَرِبيُّ حَمَلْتُ الوطنْ
فِي بَسَاتِينِ قَلْبِي وفِي كُلِّ أرْض غَرِيبةْ

1974/3/18

مَواعِيـــدْ

مَوعِدُك الْقصرْ
مَوعدكَ البيتُ الضّافِي الأستَارِ
مَوعدكَ البرقُ القابُس من لهبِ النّارِ
وأنَا لَمْ قبلَ اسمعْ حديثاً دارَ بأروقةِ القصْرِ
كنتُ المصلوبَ عَلَى خُبزهْ
الحَالمَ بالفَنَنِ الاخضر
حملوني اليهِ ولم اعصْرْ بيدِي خمراً فِي السِجنْ
يا أم محي الدين الآن سَيُقَبِلُ عصرُ الحزنْ
بَعْدَ السَّنواتِ السَبعِ
وبعدَ نُضُوبِ المَاءِ مِنَ الأنْهارْ
سأكُونُ الضَيفَ بِقريتنا
فَليُفتحْ بابُ الدَّارْ

سَأكونُ الضَيفَ لأنَ الغُصْنَ تُحَرِكُهُ الريحُ
ولأني أقمتُ «بافريكا» سَنَةً لَمْ أنْبَس بالحَرف
جَرَحُونِي وقَالُوا أأنتَ المجْروحْ ؟
تركُوا عقْلِي غِربَالْ
سَاصيدُكَ يَاسَمَكِ القِرْشِ
سَألُف يَدِي حولَ العُنُقِ المُتَطَاوِلْ
وأعودُ إلَى البَلَدِ المُشْتَاقِ
كَيْ أجْدِلَ أزْهَار الأشْوَاقْ
سَأرَاكِ وَأحْملُ أيَامِي
وألخُبْزَ وأقْمِشَة الصِينِ
وأغني بِصْدرِكِ أغنيَةَ الغُرْبَهْ
«يَا طِيْرِيَا ضَاربَ أجنحةَ السُحُبِ
ودّعْ أحْبَابِي الْيَومَ وبَعْدَ غَدٍ
سَأطوّقُ جِيدَكَ بِالذَهَبِ»

1973/6/25

السِّجْنُ دَاخِلَ الكَلِمَاتْ

- 1 -

سَأسْكُنُ دَاخِلَهَا
سَأمُوتُ كما ماتَ يوماً رفاقُ الطَريقْ
ولكنني قبلَ موتِي سأشْربُ منهَا رحيقَ الرحيقْ

- 2 -

أنَا التَّونسيُّ الذِي عاشَ عصرَ الغبارْ
أنا التُونسيُّ الذِي كَانَ جُرحِي جبارْ
أنَا العربِي الذِي خَاضَ كُلِّ البِحَارْ
وملّ القرارَ وعادَ يُنَادِي ألاَ مِنْ قرارْ ؟
أمِنْ أجْل هذِي الرُؤى
والوِجُوهِ التِيّ لَمْ تعِشْ قطُ بُعْدَ المَسافةْ
تَرملَتِ الأُمهَاتُ وكانَ علَى النَهْرِ الاَّ يرودَ ضِفَافَهْ

- 3 -

سَأسْكُنُ دَاخِلَهَا وأُصلّي
وأذْكُر أورَادَهَا حِينَ تُقْبلُ عَني وحينَ تُولّي
سَهِرْت فِي دَمِي لَيْتَنِي كُنْتُ فِي لَيِلهَا أسْهَرُ

لَيتَنِي كنتُ مِنهَا قرِيبْ .
يَعْرِفُ الحُبَّ مَنْ يَشْرَبُ الكَأسَ مرهْ
يَعْرِفُ الحُبَّ أكْثَرَ مِنْ ذَاكَ
انكَ لَمْ تُعْشِبي فِي عُيُونِهِمُ
لَمْ يحبوكِ بَحْراً وزيتونةً وجبالَ صَنَوبرْ
لَمْ يَرْوا فِيكِ غيرَ قُشورٍ وَمَظْهَرْ

ـ 4 ـ

لِي ببَابِ المَدِينةِ شَيْخٌ عَجُوزْ
كُنْتُ دوماً أغَادِيهِ
أعرِفُ مِنْهُ خَبَايَا الكُنُوزْ
كُنْتُ آخذُهُ باليَمِينِ فَيأخُذْنِي بِالشِمَالْ
لَيْسَ يعرِفُ مَعْنَى المُحَالْ
كَانَ يَسْكُنُ فِي عَيْنِ ابرهْ
يُوسِع الكَونَ بالحُبِّ يَمْلأهُ بِالمَسَرّهْ
قَالَ لِي : يَرْجِعُ النّاسُ بعدَ الرّحيلِ وتَعْمُرُ كُلُّ الدِيَارْ
إنْ يَكُنْ حُبّهَا زَادَ ، فَالحبُّ مِلْحُ اللّيَالِي القِصَارْ

ـ 5 ـ

سَأسْكُنُ دَاخِلها
وَاذَا عَادَ يَحْمِلنِي لِلمَرافِي البَعِيدَهْ
سَأجُوبُ الشِتَاءَ وأقطَعُهُ
وأُغنّي وأكْتُبُ ألف قَصِيدَةْ

1974/7/4

تَنَبُّؤات صَاحِبِ الوقْتِ

- 1 -

يَأتِي وَفِي أعْمَاقِهِ الزَّمنْ
حُزْمَةُ أوْراقٍ رَمَتْها الرِيحْ
يَحِنُّ لِلْوَطَنْ
يَهْفُو لَهُ بِخَافِقٍ مَجْرُوحْ

- 2 -

رَأيتُهُ يَدْفَعُ بِالْيدَيْنِ سَحَابَةً سَوْدَاءْ
وَيَزرعُ الآفاقَ بِالبُروقْ يُوعِدُ بِالرَّخَاءْ
سَمِعْتُهُ يَقُولْ : لاَبُدَّ لِلنَجْمِ مِنَ الأُفُولْ
لاَبُدَّ لِلْغَابَاتِ أنْ تلتحِفَ الغَمَائِمَ الخَضْراءْ
وَفِي لَيَالِي السَفَرِ الثَّقِيلَهْ

تُختَصرُ المَسافَةُ الطَويلهْ

- 3 -

إبدأْ غداً ولاَ تَقُلْ إنَّ غداً بَعِيدْ
ودَونَ مَا تَطْلُبُهُ الحُرَّاسُ والحُدُودْ
إرجَعْ إليْهَا واسْتَلِمْ زمامَهَا
واشْرَبْ حَدِيثَ الوَجْدِ مِنْ أنغامِهَا

- 4 -

سَوفَ يَعُودُ الزَمنُ الأَفَّاقُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ
حَمَلاً وَدِيعًا
سَيَحْمِلُ الرّبيعُ بَيْتَهُ ويَسْكُنُ الرَبوعَا
وَكُل طِفْلٍ ضَائِعَ سَيَرجِعُ
وَكُل لحْنٍ رَائِعَ سَيَصْدَعْ
فانْتَبِهُوا لِلمَوكِبِ المُشَيّعِ
يَوْمُ الرَحِيلِ لَمْ يَعُدْ بَعِيدْ
يَومُ الرَحِيلِ قَارَبَ الحُدُودْ

- 5 -

أَصْغِ إلَى الأنْهَارْ
أَصْغِ إلَى الطُبُولْ
أَصْغِ إلَى الأطْفَالِ يَهْزِجُونَ مِنْ بَعِيدْ
فَإنّهم آتونْ
بَعْدَ غَدٍ سَيُطْرقُ الْحَدِيدُ بالْحَدِيدْ

1974/7/4

أبعدُ مِنْ زَمَنِ الذّاكِرةْ

- 1 -

سَتبْكي المِياهُ وَيَنْتَحِبُ الصيفُ بعدَ لَيالِي الرّحِيلْ
سَتمضِي الحَيَاةُ بطِيئَهْ
وَيعودُ النّخيلُ يُردّدُ أحْزانَهُ لِلنّخِيلْ
قُلْ معِي : وَلنرجعْ معاً
ولْنَسِرْ فِي الطّرِيقِ الذِي سَارَ فِيهِ المحِبّونَ
دُونَ دَلِيلْ
إنّ أحْزَانَهَا أترعَتْ كُل كَأسٍ
إنَ أغْصَانَهَا حَطّمْت كُل فَأسٍ
إنّ أيَامَهَا رَاعِشَاتٌ
كَمَا أرتَعَش الدَمْعُ فَوقَ جُفُونِ العَذَارَى
كَالحاتٌ كَما خَيَّمَ اللّيْلُ فَوقَ رِمَال الصَّحَارَى

- 2 -

كُنْتِ أبعدَ مِنْ زَمَنِ الذَّاكِرهْ
لَوْحَةً وظِلاَل شُمُوسٍ وَشُباكَ قَصْرٍ
عَلى الْبَحْرِ يَفْتَحُ الْواحَهْ
وَمسْجِدَ قَرِيَتِنَا حِينَ يُوقدُ فِي اللَّيْلِ مِصْبَاحَهْ
كُنتِ كُلَّ الذِي فِي حَيَاتِي أرجِيهِ
مِنْ بعْدِ فقْدِ الأحِبّةِ والأَهْلِ والذِكْرَياتْ
لهفِي كَيْفَ يُغْلقُ بابُ الحَياةْ
ويَظلُّ هَوَاكِ بأروِقَةِ السّجْنِ يَرْسُفُ فِي القيدِ
والْحُب طَارَ بِهِ طَائِرٌ بِجَناحٍ وَحِيدْ
اِنْ تكُنْ لستَ تَعْرِفُ مَعْنَى السُّجُونِ وَمَعْنَى القُيُودْ
فَلتَنمَ رَاضِياً وهَنِيئاً
لِمَنْ لمْ يُجَرِّبْ حَيَاةَ العَبِيدْ .

- 3 -

حِينَ كَانَتْ لَيَالِي المَدِينَهْ
تَحْمِلُ العِيدَ فَوقَ ذِرَاعَيْنِ مِنْ كِبْرِيَاءْ
كُنْتُ وحدِي أُزِيحُ الغِطَا
عَنْ عُيُونٍ رَسَتْ فِي شَواطِيهَا سُفُنُ الحُزْنْ ....
لاَ أرى غَيرَ مَا نَامَ فِي خَاطِرِي

مِنْ حَديثِ هَواهَا
كُنْتُ المحُهَا فِي الفُصُولِ التِي وَعَدَتْ بِالخُصُوبَهْ
كُنتُ أرْجُو لقَاهَا
كُنتُ أشْربُ مِنْ صَوتِها كُلَّ لَحنٍ يَسيلُ عُذُوبَهْ

- 4 -

إسألِ القُبّراتِ وَسلْ كُلَّ عَطْفَةِ شَارِعْ
عَنْ هَوانَا وَقُلْ مَرّةً ثَانِيهْ
لَيسَ يَكْبُرُ شيء مِنْ الآن فِي نَاظِريَا
هَانَ كُلُّ قَريبٍ
وَبِالطبع مَا كَانَ يَبْدوُ قَصِيًا .

1974/8/10

صَوْتٌ مِنْ طَرَفٍ آخَرْ

- 1 -

اِسْمَعْ فإنَّ مَعِي مِن الكَلِماتِ
ما يَعيْ بِهِ صَوتُ المُغَنّي
فاذا امتنعْتَ فَخلّني
أمضي وراءَ نداءِ حُزْني

- 2 -

اِشْربِ الوجد مِنْ لَحْنِهَا
فَاذَا غَلَبَ الوَجْدُ فاشْربْ بقايَا الصّبَابَهْ
لَيْس يَبْقَى مَعَ الْفَجرِ لَيْلٌ
وَلاَ بُحَّ مِنْ شَدْوِهِ وَتَرٌ فِي رَبَابَهْ

- 3 -

اسْمعْ فأَنَ مَعِي مِنَ اْلكَلِمَاتِ
صوتَ يمامةٍ ، وغناءَ عصفورٍ
وسَورةَ موجةٍ وبكاءَ غَيمهْ
اِسمعْ فَما سَجْعُ الحَمامِ بِسَمْعِهَا
كَنَعْيبِ بُومَهْ

- 4 -

سَاهِرُ النَّجمِ لاَ يَعْرِفُ العِشْقَ
والعِشْق لاَ يَرْحمِ السَّاهِرِينْ
جُبْتُ آفَاقَهُ وَعَرفتُ حديثَ العُيونْ
أبداً لَيسَ يُنَفَذُ مَا فِي العُيُونْ
أفقُهَا وَاسِعٌ ومَداهَا ورَاءَ الظُّنُونْ
غَنَّيتُ لَيلَكِ تِهْتُ فِي وَادِيكِ ، يَامَطرَ الحُقُولِ
بِدُونِ زَادْ
وَطَوِيتُ فِي سَفَرِي البِعَادْ
مِنْ أَجْلِ حُبِّكِ تِهْتُ فِي اْلبَلدِ الكَبِيرْ
ضَوَأْتُهْ بِالشِعرِ

فِي أَسْوَاقِهِ بِعْتُ الحَرِيرْ
اسْمع فانَّ معي مِن الكَلِماتِ
زَهْرةِ غَابةٍ وَصفَاءَ دَمْعَهْ
وَغِنَاءَ مَلاَّح وَلَوْعَةَ عَاشِقٍ
وَضِياءَ شَمْعَهْ

- 5 -

لاَمَنِي فِي هَوَاكِ الصَّبَاحْ
فَعَذَرْتُ الصَّبَاحْ
إِنَهُ لَمْ يُطرّزْ عَلَى ضَوءِ وَجْهِكِ
قُمْصَانَهُ وبُرودَهْ
لَمْ يُنَظّمْ قَصِيدَهْ
لَمْ يَغُص فِي البِحَارِ
وَلاَ كَانَ يَعْرِفُ مَعْنَى اللآلِي الفَرِيدَهْ

- 6 -

أنتِ تَدْرِينَ أنّكِ بَيْنَ الدَفاتِرِ
وَالْحِبْرِ والكَلِماتِ العَتِيقَهْ
أبداً فِي عُيُون الزَّمَانِ عَرِيقَهْ
تَمْنحِينَ ثِمَارَكِ للنَصِيفِ
تَعْتَصِرينَ غُيُومَ الخَرِيفْ
تُلبسِينَ طيورَ البَسَاتِينِ رِيشاً
وَتُعْطِينَهَا لَوْنَهَا وَالرفِيفْ .

1974/8/28

اعترافاتُ ايْمن بن خُزَيْم

(مهداة الى محمد الصالح الجابرى

- 1 -

وَقَالُوا أسْتُهَيم بِهَا
قُلتُ أولَى بِمَنْ جَهِلَ البحرَ أنْ يغرقَا
وَمنْ كانَ يَلعبُ بِالنَّارِ لاَ بُد أنْ يُحْرَقا
فَلَمْعُ السَّرَابِ أمَاتَ العِطَاشَا
وَضَاعَ نَشِيدُ المحِبينَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَتَلاَشَى

ـ 2 ـ

حَمَلْتُ هَوَاهَا بِكَأسِي
وَعِشْتُ اللّيَالِي أحَدثُ عَنْهَا الضُحَى حِينَ
يَهْطِلُ شَمْساً عَلَى شَجَرِ البُرْتُقَالْ
وَحَدثْتُ عَنْهَا الخَيالْ
فَلَمْ يَتَصَوّرْ لَهَا صُورةً كَيْفَ لاَ !
وَهِيَ فوقَ الخَيَالْ ..!
سَتُعْشِبُ سَوْسَنةً ، وَتَقنّبُ زهْرَهْ
وَتَبْقَ مَدَى الدَّهْرِ لَحْنَ المَسرّهْ
فَأمّا أنَا فَلِي الله
اِنْ مِتُ عِشْتُ
وَانْ عِشْتُ مِتُ
مَنازِلُ لاَ يرتَضِيها سِوَى العَاشِقِينْ
تَدُورُ السِنَينَ ونَحنُ نَتيهُ بِبَحْرِ السِنِينْ

ـ 3 ـ

وَقَالُوا أسْتهِيَم بِهَا
وأنَا لَسْتُ أهْربُ مِنْ قَدَرِي
وَالذِي رَاشَ لِي السَهَم أكبرُ مِنِي
ويمناهُ أطْولُ مِنْ عُمُرِي
«اذا المْرءُ وافَى الأرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ دُونَ مَا يَأتِي حِجَابٌ وَلاَ سِتْرُ

فَدَعْهُ ولاَ تَنفِسْ عَليهِ الذِي أتَى
وَلو مَدّ أسْبَابَ الحَيَاةِ لَهُ العُمْرُ»

- 4 -

وَمنْ دُونِ مَا يَضرِبُ النَّاسُ
بَحْرُ عَذَابٍ وغابُ جُزُرْ
وَاعناتُ مَوجٍ وريح تفتتُ قَلْبَ الحَجَرْ
وَلكِنَني لا أخافِ الرِيَاحَا
وَلي فِي مَهَبِّ الأعاصِيرِ بَيْتُ
طَوْتني الحَياةُ بِهِ وطَوْيتُ
وأعجَبُ مَا فِي الحَياة اللَيالِي التِي سَكَنتْ فِي الغَدَائِرْ
وَمنْ ضَحكَاتِ العُيونِ تُغلُّ الكُرُومُ وَتَهْمِي المَعاصِرْ
«فَقلتُ أصْطبِحْهَا أو لِغَيرِي فَأهْدِهَا
فَمَا أنَا بَعْدَ الشَيْبِ وَيْحكَ وَالْخَمْرُ»
تَجَالَلْتُ عَنْهَا فِي السِنِينِ التِي مَضتْ
فَكَيفَ التَّصابِي بَعْدَ مَاكَلأَ الْعُمْرُ»
وقَالُوا أسْتُهِيمِ بِهَا
قُلتُ أخْبَارنا لَمْ تَعُدْ خَافِيهْ
خَلّني اشْرَبُ المرَ مِنْ يَدِهَا وَلَكَ العَافِيَهْ

1974/8/29

الفهـــرس

دواويـن شعريـة

صدرت عن دار المعارف للطباعة والنشر

سوسة/ تونس

* اغانـــي الحيــاة

أبـو القاســم الشابــي

* السجن داخل الكلمــات

محي الدين خريـف

* الطريق إلى أرض ليلى

د/ رجـاء سُمْرَيْـن

* سنفونية المستقبـل الأخضر

شعر : لطفي قحـة

* ثــورة الحجــارة

هــارون هاشم رشيد

دراســـات شعريـــة

صدرت عن دار المعارف للطباعة والنشر

سوسة/ تونس

* ❋ الثورة في شعر محمود درويش

تأليف : د/ياسين احمد فاعور

* ❋ شاعـر وثــورة

تأليف : د/حسن فتح الباب

* ❋ أبو العلاء المعري من التمرد إلى العدمية

تأليف : عبيد البريكي

* ❋ احمد فؤاد نجم من الثورة إلى الخيبة

تأليـف : جلال المخ

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة ـ الجمهورية التونسية

صدر حديثاً



منشورات دار المعارف للطباعة والنشر
ص.ب. 215 ـ سوسة ـ تونس.

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب.

تدمك : 7 ـ 037 ـ 16 ـ 9973 ـ ISBN

الثمن : 2.000 د. ت. أو ما يعادلها بالعملات الأخرى.